المشرق

السنة الحادية والاربعون

تموز - ايلول ١٩٦٧

الوراقة والورّاقون

في الاسلام

عرّف ابن خلدون الوراقة بقوله: «انها معاناة الكتب بالانتساخ والتجليد» وعرّف الورّاقين انهم «الذين يعانون انتساخ الكتب وتجليدها وتصحيحها»[1] وقال السمعاني: «الورّاق اسم من يكتب المصاحف وكتب الحديث وغيرها وقد يقال لمن يبيع الورق وهو الكاغد ببغداد الورّاق ايضاً»[2] وقد بحثنا كثيراً لنقف على اسماء الكتب المؤلفة في الوراقة، فلم نظفر الا بكتاب واحد للشيخ عبد الرحمن

---

١) المقدمة ٣٣٤-٣٣٥

٢) الانساب للسمعاني

ابن احمد بن مسك السخاوي المتوفى سنة ١٠٢٥/١٦١٦ دعاه «تنويق النطاقة في علم الوراقة» وهو كتاب لم يبق لنا منه الا عنوانه وتذكاره .

وللجاحظ رسالة في مدح الوراق واخرى في ذم الوراقين[١] ، كعادته في وصف الاضداد والمراوحة بين الذم والمدح تفنناً في الكلام او تماجنة وتطرباً ، كما وصفه المسعودي[٢] . وقد فاتنا بضياع هاتين الرسالتين طرائف وفوائد جمة في نعت الوراقة والوراقين في زمانه لا نجد عنها غناء في كلام غيره من الواصفين والمصنفين . وكان يقضي كثيراً من اوقاته في سوق الوراقين للنظر والمطالعة . وقد سبقه الى مدح الوراقة ابو زيد البلخي وله فيها رسالة اشار اليها ابن النديم[٣] ، وكتاب كتبه الى ابي بكر بن المستنير عاتباً ومنصفاً في ذمه المعلمين والوراقين[٤] .

وفي تاريخ بغداد للخطيب اشارات الى صناعة التوريق يدرك منها كيف كانت تمارس ويترزق بها . « حدث ابو القاسم بن بنت منيع قال : كنت اورق فسألت جدي احمد بن منيع ان يمضي معي الى سعيد بن يحيى بن سعيد الاموي يسأله ان يعطيني الجزء الاول من المغازي عن ابيه عن ابن اسحق حتى اورقه عليه فجاء معي وسأله فاعطاني الجزء الاول فاخذته وطفت به فاول ما بدأت بابي عبدالله بن مغلس وأريته الكتاب واعلمته اني اريد ان اقرأ المغازي على سعيد الاموي فدفع الي عشرين ديناراً وقال اكتب لي منه نسخة . ثم طفت به بقية يومي فلم ازل آخذ من عشرين ديناراً الى عشرة دنانير فاكثر واقل الى ان حصل معي في ذلك اليوم مائتا دينار فكتبت نسخاً لاصحابها بشيء يسير من ذلك وقرأتها لهم واستفضلت الباقي[٥] » وكانت وفاة ابن بنت منيع سنة ٣١٧/٩٢٩ .

ومما يدل على رغبة القوم في الاصول الصحيحة وما عليها من السماعات انه

---

١) ارشاد الاريب ٦ : ٧٨

٢) مروج الذهب ٨ : ١٨ بهامش الكامل

٣) الفهرست ، طبعة مصر ، ١٩٦

٤) ارشاد الاريب ٦ : ٧٥

٥) تاريخ بغداد ١٠ : ١١٣-١١٤

كان عند احمد بن عبد الجبار العطاردي المتوفى سنة ٢٧٢ / ٨٨٥ نسخة من كتاب المغازي ليونس بن بكير « وكان احمد يلعب بالحمام الهدي فسئل ان يقرأ عليه فقال : لنا منذ سمعناه ما نظرت فيه ولكن هو في قماطر تيها كتب فاطلبوه قال : فقمت وطلبته فوجدته وعليه زرق الحمام واذا سماعه مع ابيه بالخط العتيق فسألته ان يدفعه اليّ ويجعل وراقته لي ففعل » .[1]

وربما افاد قوم بالتوريق ثروة طائلة : « حدّث عيسى بن احمد الهمذاني قال : قال لي ابو علي بن شهاب (العكبري) يوماً : أرني خطك فقد ذُكر لي انك سريعَ الكتابة فنظر فيه فلم يُرضِهِ ثم قال لي : كسبت في الوراقة خمسة وعشرين الف درهم راضية وكنت اشتري كاغداً بخمسة دراهم فاكتب فيه ديوان المتنبي في ثلاث ليالٍ وابيعه بمائتي درهم واقله بمائة وخمسين درهماً وكذلك كتب الادب كانت مطلوبة قال الازهري : اخذ السلطان من تركة ابن شهاب ما قدره الف دينار سوى ما خلفه من الكروم والعقار[2] وكانت وفاة ابن شهاب في رجب سنة ٤٢٨ / ١٠٣٧ .

ومن الورّاقين القضاة الذين تحسّروا على ما فاتهم من ارباح الوراقة ، وتبرّموا بالقضاء ، ابو عبيد علي بن الحسين بن حرب البغدادي الفقيه الشافعي قاضي مصر من اهل المئة الرابعة . قال الذهبي في تاريخ الاسلام (ص ١١٨) قال الفقيه ابو بكر بن الحداد : سمعت ابا عبيد القاضي يقول : ما لي وللقضاء لو اقتصرت على الوراقة ما كان حظي بالردي وكان رزقه في الشهر مئة وعشرين ديناراً[3] .

ومع كل هذا الربح والانتفاع غلب على الشرق والغرب الاسلاميين التأفف والشكوى من الوراقة قالوا : « لكساد سوقها وخلو طريقها . » ولاحد شعراء ادب الكتّاب للصولي

ادمى البكا جفنيَّ والمآقي ... وظلّتُ ذا همٍّ وذا احتراقِ
ما ان ارى في الارض والآفاقِ ... ادنى ولا اشقى من الورّاقِ

---

١) تاريخ بغداد ٤ : ٢٦٤-٢٦٥
٢) تاريخ بغداد ٧ : ٣٢٩-٣٣٠ ؛ والمنتظم لابن الجوزي ٨ : ٩٢
٣) كتاب الولاة والقضاة للكندي ٤٤٩

اذا اتى في القُمُص الاخلاق　　رأيته مُطَّرَّة المشاق
يفرح بالاقلام والاوراق　　كفرحة الجندي بالارزاق(١

وفي هذا المعنى لابي حاتم الورّاق من كُشْمَر احدى قرى نيسابور:

ان الوراقة حرفةٌ مذمومةٌ　　محرومةٌ عيشي بها زَمِنُ
ان عشتُ، عشتُ وليس لي أكل　　او متُّ، متُّ وليس لي كفن(٢

ورَدَّد مثل هذا الصدى عبدالله بن صارة الشنتريني من شعراء الاندلس، فقال في التبرّم من الوراقة، على بصره الثاقب بها :

اما الوراقة فهي انكد حرفة　　اوراقها وثمارها الحرمانُ
شبهت صاحبها بصاحب ابرة　　تكسو العراة وجسمها عريانُ(٣

وقال احمد بن عبدالله بن حبيب المعروف بابي همّان : سألت وراقاً عن حاله فقال: عيشي اضيق من محبرة، وجسمي ارق من مسطرة، وجاهي، اوهى من الزجاج، وحظي اشد سواداً من العفص اذا خلط بالزاج . . .

ان الوراقة والتفقه　　والتشاغل بالعلوم
اصل المذلّة والاضاقة　　والمهانة والهموم

ولآخر :

هربت من الوراقة لأنّ شوطي　　فردّني الزمان الى الوراقه
وترك المرء حرفته فراراً　　لاس ليس يدريه حماقه(٤

ودعا ابو حيان التوحيدي الوراقة « حرفة الشوم » ووصف حالته، فقال : « لقد استولى عليّ الحُرف وتمكن مني نكد الزمان الى الحد الذي لا استرزق مع صحة نقلي وتقييد خطي وترويق نسخي وسلامته من التصحيف والتحريف بمثل ما يسترزق به البليد الذي يمسخ النسخ ويفسخ الاصل والفرع وقصدت ابن عباد بامل فسيح وصدر رحيب فقدم لي رسائله في ثلاثين مجلدة على ان انسخها له فقلت ان نسخ مثلها يأتي على العمر والبصر . . . ثم اني قلت لبعض

١) ادب الكتاب ٩٥
٢) معجم البلدان ٤:٢٧٨
٣) وفيات الاعيان لابن خلكان ١:٣٣١؛ وقلائد العقيان ٢٦٠
٤) غرر الخصائص الواضحة وغرر النقائص الفاضحة للوطواط ١٥٩–١٦٠

الناس في الدار مسترسلاً : انما توجهت من العراق الى هـذا الباب وزاحمت منتجعي هذا الربيع لاتخلص من حرفـة الشوم » . وقال في كتـاب اخلاق الوزيرين من تصنيفه : « طلع ابن عبـاد عليّ يوماً وانا قاعـد في كسر أيوان اكتب شيئاً قد كان كادني به فلما ابصرته قمت فصـاح بحلق مشقوق : اقعد فالوراقون اخسّ من ان يقوموا لنا » .[1]

وحقّ لابي حيان ، على ما اشتهر به من سعة العلم وبلوغـه الغاية من الفصاحة والبلاغة ، مع ما طبع عليه من الولع بالنقد واللذع ، ان يضجّ من نكد الوراقة اذا كانت قاصرة على رزق الكتبة من شق تلك القصبة ، كما قيل في ذم حرفة الادب .

وقد دعا بعض المحدثين طلب الحديث « صنعة المفاليس » في جوابه للمهدي[2] . وكذلك كانت صناعة الوراقة واليها كان يلجأ كل محروم طالب للقوت من النساخ وكل مبذّر مقامر نظير محمـد بن سليمان بن قطرمش بن تركان شاه ابي نصر البغدادي المولد السمرقندي الاصل النحوي اللغوي الاديب « خلّف له والده اموالاً كثيرة فضيعها في القمار واللعب بالنرد حتى احتاج الى الوراقة فكان يورّق بخطه المليح الصحيح » .[3]

وممن دفعته الحاجة الى الارتزاق من الوراقة السريّ الرفاء الشاعر المشهور « عدم القوت فضلاً من غيره فجلس يورق شعره ويبيعـه ثم نسخ لغيره بالاجرة وركبه الدين ومات ببغداد على تلك الحال بعيد سنة ٣٦٠ »[4] . ومن النسّاخ ايضاً المعدمين شيخ الاسكندرية تاج الدين علي بن احمد بن عبدالمحسن الحسيني الغرافي » كان يرتزق بالوراقة فاذا حصل قوته لا يتجاوزه . »[5] وكمال الـدين ابو علي الحسن المعروف بالقمحـدوة القرشي الكوفي الناسخ كتب الكثير

---

١) ارشاد الاريب ٥ : ٢٩٣ ، ٢٨٤ ، ٢٩٤

٢) حدث غياث بن ابرهيم قال : قال لي المهدي : ما صنعتك ، قلت : صنعة المفاليس . قال : وما صنعة المفاليس ؟ قلت طلب الحديث (تاريخ بغداد ١٢ : ٣٢٤)

٣) بغية الوعاة للسيوطي ، طبعة سنة ١٣٢٦ ، ص ٤٧

٤) تاريخ بغداد ٩ : ١٩٤

٥) شذرات الذهب ٦ : ١١

لنفسه وتوريقاً للناس وقتل سنة ٦٨٩ / ١٢٩٠ . ونظيره محمد بن علي ابو الغنائم النرسي ويعرف بابي الكوفي كان يورق للناس بالاجرة[١] ، ومات سنة ١١١٦/٥١٠ .

واول ما بدأت الوراقة ببيع الاوراق والاقلام وانواع الحبر والمداد وخصوصاً بنسخ المصاحف ثم تناولت كتب الحديث وسائر العلوم الدينية والادبية وللصفدي في مليح وراق :

أحب وراقاً رآه عاذلي فقال هذا فتنة العشاق
ولم يحاول في الغرام شططاً من طلب الوصل من الوراق[٢]

ونظيره قول يوسف بن لولو بدر الدين الدمشقي :

خليلي جد الوجد واتصل الاسى وضاقت على المشتاق في قصده السبل
وقد اصبح القلب المعنى كما ترى معنى بوراق وما عنده وصل[٣]

يريد بالوصل الدرج من الكاغد المعروف ايضاً بالفرخة ، ولا يخفى ما في هذه التورية من الحسن

واقدم الوراقين في ما يظهر مالك بن دينار مولى أسامة بن لؤي بن غالب كان يكتب المصاحف باجرة[٤] ، ومات سنة ١٣١ / ٧٤٨ .

وقد خفيت علينا اخبار الوراقة والوراقين في ايام بني امية ، في جملة ما غاب عنا من اوصاف حضارة ذلك العصر ، الذي غلب عليه في اول عهده تقليد الاوضاع والسنن الرومية وضاعت كل آثاره وذخائره ، ولم يسلم لنا من كل ما ألف وقيل فيه الا برض من عد من الشعر الذي كان يومئذ بمثابة الجرائد اليوم ، تتمثل فيه اهم الاخبار والحوادث الادبية والسياسية والمعاشية . وغاية ما نعلمه ان وراقي الشعراء فيه كانوا الرواة الذين تخصصوا بحفظ قصائدهم وصحبوهم لانشادها احياناً بدلاً منهم في المجالس والمحافل فكانوا كالنساخ والنقلة لهم ، حتى اذا صارت الخلافة للعباسيين ، وكثر المصنفون والعلماء

١) تلخيص مجمع الآداب لابن الفوطي ، طبعة الهند ، ١٥٤
٢) تذكرة الصفدي ، دار الكتب المصرية ، (رقم ٤٢٠ ادب) ص ٥
٣) المنهل الصافي ، نسخة مصورة في الجامعة العربية في القدس ، ٨ ب ، ٢٦٤
٤) الاعلاق النفيسة لابن رسته ٢١٦

والشعراء من الموالي والاعاجم خصوصاً واصبح منال الصحف يسيراً بعد شيوع صناعة الورق السمرقندي ، وانتقالها الى بغداد وما عقبهـا من انحطاط اثمـان القراطيس من البردي ، اتسعت الوراقـة بما جدّ لديها من المواد والمؤن ، وعمّ النسخ والنقل وجلس بعض العلماء والمؤلفين للاملاء على الوراقين ولذلك دعيت طائفة من هذه المؤلفات باسم « الامالي »

الامالي

الاملاء «هو ان يقعد عالم وحوله تلامذته بالمحابر والقراطيس ، فيتكلم العالم بما فتح الله عليه من العلم ، ويكتبه التلامذة فيصير كتاباً . »[1] واشتهر من هذه المصنفات أمالي ابن دريد ، واماني ثعلب ، واماني الزجاج ، وامـالي الانباري ، وأمالي القالي ، واماني ابي العلاء المعري في مئة كرّاسة ولم يتمها[2] ، وأمالي جحظة ، وقد فاتنا بضياعهـا اشهى اخبار الحضارة العبـاسية واطيب ملحها وطرائفها لحسن وصف جحظة كل ما مرّ به ويشهده من مجالس الغناء والطرب وفكاهات المنادمة ، كما يدلّ على ذلك ما رواه عنه ابو الفرج في كتاب الاغاني . وقـد اشتهر برقـة الوصف والتلطف في الغوص على غرائب المطلبي حتى قيل فيه :

ورقّ الجوّ حتى قيل هذا عتابٌ بين جحظة والزمان

واحوج من كان من المؤلفين للاملاء العلماء العميان ، وربما استوعب الاملاء عدة مجالس في عدة سنين . ولابي بكر بن الانباري كتاب المشكل في معـاني القرآن املاه سنين كثيرة ولم يتمه[3] . واملى ايضاً اكثر مصنفاته وله غريب الحديث قيل انه خمس واربعون الف ورقة من حفظه[4] . ولابي السعادات ابن الشجري كتاب الامالي ، وهو اكبر تصانيفه وامتعهـا املاه في اربعة وثمانين

---

١) كشف الظنون ، طبعة الاستانة ، ١ : ١٤٧

٢) » » » » ١ : ١٤٨

٣) ارشاد الاريب ٧ : ٧٦

٤) » » ٧ : ٧٥ و٧٤

مجلساً[1] . وربما اختلف لفظ الاملاء بالارتجال ، اذا تكرر القاؤه ، فتختلف لذلك نسخ الكتاب ، مثل كتاب الجمهرة لابن دريد قالوا املاه بفارس واملاه ببغداد من حفظه فزاد ونقص[2] . ولما قعد الفرّاء للاملاء ازدحم الناس على مجالسه وغصت بالقضاة والعلماء . روى ابن خلكان في وصفها عن الخطيب البغدادي فصلاً ممتعاً يُطلّع منه على ماكان يجري وتتنذر بين المؤلفين والوراقين وكيف كان الوراقون يختزنون احياناً المؤلفات ويحتكرونها حباً بالربح قال :

« ان الفرّاء لما اتصل بالمأمون امره ان يؤلف ما يجمع به اصول النحو وما سمع من العربية وامر ان يفرد بحجرة من حجر الدار ووكل به جواري وخدماً يقمن بما يحتاج اليه حتى لا يتعلق قلبه ولا تتشوق نفسه الى شيء حتى انهم كانوا يؤذنونه باوقات الصلاة وسيّر اليه الوراقين والزمه الامناء والمنفقين فكان يملي والوراقون يكتبون حتى صنف « الحدود » في سنتين وامر المأمون بكتبه بالخزائن . فبعد ان فرغ من ذلك خرج الى الناس وابتدأ بكتاب « المعاني » قال الراوي : واردنا ان نعدَّ الناس الذين اجتمعوا لاملاء كتاب المعاني فلم نضبطهم فعددنا القضاة فكانوا ثمانين قاضياً . فلم يزل يمليه حتى اتمه . ولما فرغ من كتاب المعاني خزنه الوراقون عن الناس ليكسبوا به وقالوا لا نخرجه الا لمن اراد ان ننسخه له على خمس اوراق بدرهم فشكا الناس الى الفرّاء فدعا الوراقين وقال لهم في ذلك فقالوا انا صحبناك لننتفع بك وكل ما صنفته فليس بالناس اليه حاجة ما بهم الى هذا الكتاب فدعنا نعيش به فقال : قاربوهم تنتفعوا وينتفعوا فأبوا عليه فقال : سأريكم وقال للناس : اني مُمل كتاب معان اتم شرحاً وابسط قولاً من الذي امليت وجلس يملي فاملى « الحمد » في مئة ورقة فجاء الوراقون اليه وقالوا : نحن نبلّغ الناس ما يحبون فنسخوا كل عشر اوراق بدرهم » . (وفيات الاعيان ٢ : ٣٠١–٣٠٢)

ومن هذا الخبر الطريف يستدل على ان الوراقة في عهد العباسيين كانت تشبه الوراقة الآن وان اسواق الكتب كاسواق اليوم خلا ان النسخ كان يقوم مقام الطباعة ، واطماع التجارة في كل حال واحدة في كل عصر ومصر .

١) ارشاد الاريب ٧ : ٢٤٧ – ٢٤٨

٢) الفهرست ٦١

مجالس الاملاء والمستملون

كان الاملاء في اول امره لا يتجاوز منزل المحدث او المؤلف، ثم ازدادت الرغبة في السماع والكتابة فضاقت المنازل عن استيعاب الجموع فانتشروا حولها في ما جاور من الازقة والاحياء «وكان ابن الجعابي يملي بمجلسه فتمتلي السكة التي يملي فيها والطريق»[1] وغصت الدور والافنية ايضاً بالمستمعين، فانتقلت مجالس الاملاء الى الشوارع والرحاب. «ولما ورد جعفر الفريابي الى بغداد استُقبل بالطيارات والزبازب ووعد الناس الى شارع المنار ليسمعوا منه فحزر من حضر مجلسه لسماع الحديث فقيل نحو ثلاثين الفاً»[2] وكانت وفاته سنة ٩١٣/٣٠١

واكثر ما كانت هذه المجالس الجامعة لاملاء الحديث وربما بلغ عدد الحضور نيفاً ومئة الف كما سيجي. فكان لا بد لاسماع هذا الحشد العظيم من منادين يتلقفون الفاظ المحدث وينقلونها الى الملإ كالصدى ويقال لهم «المستملون». ويختلف عددهم بحسب ازدياد المستمعين وانتشار الحلقات وبعد المسافات وكان للقاضي المحاملي «اربعة مستملين قال يوسف بن عمر القواس: حضرت مجلسه وكان له اربعة مستملين يستملون عليه وكنت لا اكتب في مجالس الاملاء الا ما اسمعه من لفظ المحدث فقمت قائماً لاني كنت بعيداً عن المحاملي بحيث لا اسمع لفظه فلما رآني الناس افرجوا لي واجازوني حتى جلست مع المحاملي على السرير»[3].

وفي سنة ٩٠٥/٢٩٢ مات ابرهيم بن عبدالله بن المهاجر، ابو مسلم البصري المعروف بالكجي وهو الذي مدحه البحتري بقوله:

هل تبدينَّ لي الايام عارفة   لدى ابي مسلم الكجيّ او اسد

قال ابو بكر احمد بن جعفر بن مسلم: «لما قدم علينا ابو مسلم الكجي املى الحديث في رحبة عنان وكان في مجلسه سبعة مستملين يبلّغ كل

١) تاريخ بغداد ٣ : ٢٨

٢) المنتظم لابن الجوزي ٦ : ١٢٤

٣) تاريخ بغداد ١٦ : ٢٢٦

واحد منهم صاحبه الذي يليه وكتب الناس عنه قياماً بايديهم المحابر ثم مُسحت الرحبة وحسب من حضر بحبرة فبلغ ذلك نيفاً واربعين الف محبرة سوى النظارة[١] وقد بالغوا احياناً في عدد المستملين حتى زعموا انهم كانوا في مجلس الفريابي ثلثمائة وستة عشر[٢] والمستمعون لهم ثلاثين الفاً فقط.

وممن حُزر مجلسه باكثر من مئة الف انسان ابو الحسن عاصم بن علي الواسطي، حدّث في بغداد، في مسجد الرصافة، كان يستملي عليه هرون الديك وهرون مكحلة... «قال عمرو بن حفص: وجّه المعتصم من يحزر مجلس عاصم بن علي في رحبة النخل التي في جامع الرصافة وكان عاصم بن علي يجلس على سطح المسقطات (المسقفات؟) وينتشر الناس في الرحبة وما يليها فيعظم الجمع جداً حتى سمعته يقول: «حدثنا الليث بن سعد» ويُستعاد فاعاد اربع عشرة مرة والناس لا يسمعون وكان هرون المستملي يركب نخلة معوجة ويستملي عليها فبلغ المعتصم كثرة الجمع فامر بحزرهم فوجه بقطاعي الغنم فحزروا المجلس عشرين ومئة الف»[٣]

وربما حضر الخليفة نفسه احد هذه المجالس وراء ستر. وكان لسليمان بن حرب الواشجي البصري مجلس عند قصر المأمون «فبني له شبه منبر فصعد سليمان وحضر حوله جماعة من القواد وعليهم السواد والمأمون فوق قصره قد فتح باب القصر وقد أرسل ستر يشفّ وهو خلفه يكتب ما يُملي فسئل اول شيء «حديث حوشب بن عقيل» فلعله قد قال: «حدثنا حوشب بن عقل» اكثر من عشر مرات وهم يقولون: لا نسمع حتى قالوا: ليس الرأي الا ان يحضر هرون المستملي فذهب جماعة فاحضروه» وكان صوته كالرعد فسكت المستملون كلهم واستملى هرون[٤].

وهرون هذا هو في الارجح هرون بن سفيان بن راشد ابو سفيان المستملي المعروف بمكحلة[٥]، وقد تقدم ذكره.

---

١) تاريخ بغداد ٦ : ١٢١ — ٢٢.
٢) المنتظم لابن الجوزي ٦ : ١٢٤
٣) تاريخ بغداد ١٢ : ٢٤٨
٤) « « ٩ : ٣٣
٥) « « ١٤ : ٢٤

وكان المستملون يقومون ايضاً بين ايدي القضاة في الجامع اذا احتاجوا الى المناداة بذنوب المتهمين في دينهم واستتابتهم . قال محمد بن عبد الرحمن الصيرفي « شهدت مسجد الجامع بالرصافة وقد اجتمع الناس . وجلس قتيبة بن زياد للناس وأُقيم بشر على صندوق من صناديق المصاحف عند باب الخدم وقام المستمليان ابو مسلم عبد الرحمن بن يونس مستملي ابن عيينة وهرون بن موسى مستملي يزيد بن هرون يذكران ان امير المؤمنين ابرهيم بن المهدي . امر قاضيه قتيبة بن زياد ان يستتيب بشر بن غياث المريسي من اشياء عددها فيها ذكر القرآن وغيره وانه تائب » .[1]

وكان في الاندلس امثال هذه المجالس الشرقية للاملاء . قال ابن بسام الشنتريني « اهل هذا الافق (الاندلس) ابوا الا متابعة اهل الشرق يرجعون الى اخبارهم المعتادة رجوع الحديث الى قتادة حتى لو نعق بتلك الآفاق غراب او طنّ باقصى الشام والعراق ذباب لجثوا على هذا صنماً وتلوا ذلك كتاباً محكماً »[2] : ومن مقلديهم الفقيه ابو مروان عبد الملك الطبني رحل الى المشرق « فلما رجع الى قرطبة وجلس ليروي ما احتقبه من العلوم اجتمع اليه في المجلس خلق عظيم فلما رأى تلك الكثرة وما اله عندهم من الاثرة قال :

اني اذا حضرتني الف محبرة يكتبن حدثني طوراً واخبرني
نادت بعقوتي الاقلام معلنة هذي المفاخر لا قعبان من لبن »[3]

وقد تقدم من خبر الفراء أن الاملاء لم يكن مقتصراً على الحديث ، بل يتناول اصناف العلوم الدينية واللسانية . وقد حفظ لنا اسم مستملي يعقوب بن السكيت صاحب كتاب اصلاح المنطق وهو عبدالله بن محمد بن رستم ابو محمد اللغوي[4] .

---

١) تاريخ بغداد ١٤ : ٣٦٤

٢) الذخيرة في محاسن ، اهل الجزيرة ١ : ٢

٣) مطمح الانفس لابن خاقان ٥٠

٤) انباه الرواة للقفطي ، دار الكتب المصرية (رقم ٢٥٧٩ تاريخ) المجلد ٤ ، الجزء ٢٠ ، ص ٣٩٤

اجرة النسخ

كانت اجرة النسخ تغلو وترخص وتختلف باختلاف الاقلام وحسنها وصحة النقل والضبط، وتزيد او تنقص بنسبة تغير قيم النقود وصرف الدنانير بالدراهم وربما غلت ايضاً بحسب سرعة النسخ او بطئه . ولما اراد الشافعي تحصيل كتب محمد بن الحسن باسرع وجه قال : جئت الى منزلي ووجهت الى كاتبه بمئة دينار وقلت اجمع الوراقين الليلة على كتب محمد بن الحسن وانسخها لي فكتبت لي ووجه بها الي"[1] . وربما اضطر الوراقون الى المبيت في منازل المؤلفين لتعجيل النسخ . ونُقل عن يعقوب بن شيبة السدوسي انه صنف مسنداً وكان في منزله اربعون لحافاً لمن يبيت عنده من الوراقين لتبييض المسند ونقله ولزمه على ما خرج من المسند عشرة آلاف دينار[2] . فكم كانت اوراق هذا المسند ؟ وكم كانت اجرة النسخ وقتئذ حتى اقتضت مثل هذا المبلغ الطائل ؟

ومرّ بنا آنفاً في خبر الفراء ان اجرة خمس ورقات درهماً واحداً كانت تعدّ غالية في عهد المأمون . ولذلك اضطر الوراقون الى اضعاف الاوراق فنسخوا العشرة منها بدرهم واحد . وفي اواخر القرن الرابع الهجرة كان القاضي ابو سعيد السيرافي النحوي « لا يخرج الى مجلس الحكم ولا الى مجلس التدريس حتى ينسخ عشر ورقات يأخذ اجرتها عشرة دراهم تكون بقدر مؤونته ثم يخرج الى مجلسه"[3] وكانت وفاته سنة ٣٦٨/٩٧٨ اي بعد موت الفراء بمئة واحدى وستين سنة ، ولم يكن الدينار في ايامه قد انحطت قيمته حتى بلغ صرفه دراهم اضعاف ما كان في ايام الفراء . ولا ريب انه كان يشتط في اجرة نسخه لمعرفته رغبة الناس في خطه وضبطه . وقد اتهمه بعض جلة الوراقين ببغداد بحبه الربح من غير وجهه اي بطريق الغش ، وزعموا انه كان « اذا اراد بيع كتاب استكتبه بعض تلامذته حرصاً على الطمع منه . . .

---

١) ارشاد الاريب ٦ : ٢٧٣

٢) تاريخ بغداد ١٤ : ٢٨١

٣) ارشاد الاريب ٣ : ٨٥

وكتب في آخره وان لم ينظر في حرف منه : « قال الحسن بن عبدالله : قد قرئ هذا الكتاب وصح » ليشترى باكثر من ثمن مثله[1]. واذا كان هذا الذي قرف به حقًا، كان ابو الفرج الاصبهاني في سعة من العذر حين قال في هجائه :

لعن الله كل علم ونحو وعروض يجيء من سيراف[1]

وفي النصف الثاني من القرن الثالث كانت اجرة النسخ قد بلغت ضعف ما كانت في ايام الفراء. قال ابو عبيد الله اليزيدي : كان ابو العباس الاحول (محمد بن الحسن بن دينار) يكتب لي مئة ورقة بعشرين درهماً[2]. ثم ارتفعت في اواخر القرن التالي الى دينارين اي نحو ثلاثين درهماً. ومن الوراقين المشهورين وقتئذ الكاتب ابو محمد عبيدالله بن ابي الجوع، اثنى عليه ابن خلكان وقال : « كان شاعرًا حلوًا مقبولًا ونسخه في غاية الجودة وكان ينسخ كل خمسين ورقة بدينار وخطه مرغوب فيه »[3]. ولم يمرّ بنا في ما وقفنا لمطالعته اقل اشارة الى اجور النسخ في العصور الاخيرة حتى سقوط الخلافة العباسية في القاهرة.

ومن الوراقين الذين كانوا يعيشون خصوصاً من النسخ وكسب ايديهم علي بن عبدالله ابو القاسم العلوي المعروف بابن الشبيه[4]، ومحمد بن عبدالله الكرماني اللغوي كان يورّق بالاجرة ويرغب الناس في خطه[5]، ومحمد بن احمد ابن عبد الباقي المعروف بابن الخاضبة الحافظ العام قال: كنت اورّق للناس وانفق على الاهل[6]، ومحمد بن سليمان البغدادي النحوي اللغوي خلف له والده اموالًا كثيرة فضيّعها في القمار واللعب بالنرد حتى احتاج الى الوراقة، فكان يورق بالاجرة بخطه المليح الصحيح المعتبر فكتب كثيرًا من الكتب[7].

١) ارشاد الاريب ٣ : ١٠٥
٢) ارشاد الاريب ٦ : ٤٨٣
٣) وفيات الاعيان ، طبعة باريس ، ٧٢٦
٤) ارشاد الاريب ٥ : ٢٢٠
٥) الفهرست ١١٨
٦) ارشاد الاريب ٦ : ٢٣٦
٧) « « ٧ : ١٤٠

حسن الخط والضبط

كان لا بد لكل وراق لادراك النجاح في حرفته من جودة الخط والضبط في النقل والحذق والترويق والتذهيب في كتابة المصاحف . واشتهر كثير من الوراقين بهذه الاوصاف كابي موسى الحامض كان «معروفاً «بصحة الخط وحسن المذهب في الضبط » [١] ، ومحمد بن عبدالله الكرماني كان «مضطلعاً بعلم اللغة والنحو مليح الخط صحيح النقل » [٢] ، واحمد بن محمد القرشي شهد ابن عساكر انه «صاحب الخط الحسن المشهور » [٣] ، وابي محمد عبيدالله بن ابي الجوع الذي اثنى عليه ابن خلكان آنفاً وقال ان نسخه كان في غاية الجودة وخطه مرغوب فيه ؛ وكالسراج الوراق الطائر الصيت فان خطه «كان في غاية الحسن والقوة والاصالة » [٤] ؛ وعلي بن احمد بن ابي دجانة المصري ابي الحسن «كان جيد الخط كثير الضبط الا انه مع ذلك لا يخلو خطه من السقط وان قل وهو من اهل مصر ومقامه ببغداد وبها كتب ونسخ الكثير » [٥] ؛ والمحسن بن الحسين العبسي يعرف بابن كوجك وخطه مرغوب فيه يشبه خط الطبري » [٦] .

ومن الوراقين الوافدين على الاندلس ظفر البغدادي سكن قرطبة ، وكان من رؤساء الوراقين المعروفين بالضبط وحسن الخط كعباس بن عمر الصقلي ويوسف البلوطي وطبقتهما [٧] ، واشتهر بالخط المليح الرائق والضبط المتقن الفائق احمد بن محمد بن الحسن الخلال الاديب [٨] .

---

١) الفهرست ١١٧
٢) « ١١٨
٣) ارشاد الاريب ٢ : ٧٨
٤) فوات الوفيات لابن شاكر ٢ : ٢٥
٥) ارشاد الاريب ٥ : ٨١
٦) « « ٦ : ٢٤٩
٧) نفح الطيب للمقري ٢ : ٣٠٢
٨) ارشاد الاريب ٢ : ٨٨

ولبغداد شهرة بخطاطيها ووراقيها . ولذلك قـال ابو مطهر الازدي في مناظرة اهل اصبهان : « هل ارى عندكم من ارباب الصناعات مثل من ارى ببغداد من الوراقين والخطاطين »[١].

الخط الوراقي

كان للوراقين لا محالة اقلام مختلفة حسب اختلاف المطلوب منهم ، ولكنهم اختصوا بنوع من الخط كان يعرف بالوراقي والمحقق والعراقي ، كما نبه عليه ابن النديم[٢] ، ولم نقف على وصف له ، ويغلب على الظن انـه كان بالقلم الجليل لا تساع رقعته وجلاء صفحاته وزيادة ما يقتضيه من الصحف ، وفي تعددها زيادة اجورهم واثمانهم ، وفي عكس ذلك كان للمحدثين قلم مختزل رقيق الحروف متراص تسهل معه مقاربة ما بين السطور وتوفير الورق والرق لغلائها في كل وقت ، وكان يسمى لذلك بالمقرمط وقد كتب به مرة الخليفة المعتز بالله فقال له علي بن حرب الطائي : اخذت يا امير المؤمنين في شؤم اصحاب الحديث فضحك المعتز[٣]

ومن اوضح الشواهد على ما كان احياناً من الفروق بين خط الوراقـين وخطوط المصنفين والعلماء ما ذكره ابن عساكر في ترجمـة الحسين بن احمد النيسابوري الحافظ قال : افنى عمره في جمع المسند الكبير . . . وقع في خطه في الف وثلاثمائة جزء ولقد قلت على التحقيق انه يقع في خطوط الوراقين في اكثر من ثلاثة آلاف جزء . . . وكان مسند ابي بكر الصديق (رضه) بخط المترجم في بضعة عشر جزءاً بعلله وشواهده . وكتبه الوراقون في نيف وستين جزءاً[٤]

---

١) حكاية ابي القاسم البغدادي ٢٤

٢) الفهرست ١٣

٣) تاريخ بغداد للخطيب ١١ : ٤١٩

٤) تهذيب ابن عساكر ٤ : ٢٥٣

وراقة المصاحف

اقتصر قوم من اشغال الوراقة على كتابة المصاحف . واول من كتبها في الصدر الاول من الموصوفين بحسن الخط خالد بن ابي الهياج كان مختصاً بكتابة المصاحف والشعر والاخبار للوليد بن عبد الملك . وكتب لعمر بن عبد العزيز مصحفاً تنوق فيه فاقبل عمر يقلبه ويستحسنه واستكثر ثمنه فردّه عليه[1] . وفي ضدّ ذلك كتب شرف الدين المعروف بابن الوحيد صاحب الخط الفائق ختمة لبيبرس الجاشنكير في سبعة اجزاء بليقة ذهبية فاعطاه بيبرس برسم الليقة لا غير الف وستمائة دينار وقيل الف واربعمائة[2] .

وعدّ ابن النديم كتاب المصاحف وبدأ منهم بخشنام البصري ومهدي الكوفي في ايام الرشيد ، وحكى ان خشنام كانت ألفاته ذراعاً مشقاً بالقلم وسرد على الاثر اسماء الوراقين الذين يكتبون المصاحف بالخط المحقق والمشق وما شاكل ذلك[3] .

وقد سار في الآفاق ذكر خطوط ابن مقلة وابن البواب وياقوت المستعصمي وغيرهم من المجيدين الذين بلغوا الغاية في الاتقان والابداع .

وفي كتاب الفهرست اسماء بعض المذهّبين والمجلدين للمصاحف وكان بعضهم في زمان ابن النديم[4] ، وذكر السمعاني ابا اسحق ابرهيم السامي وانه كان وراق المصاحف[5] .

---

١) الفهرست ١٠
٢) المنهل الصافي ٦ : ١٦٧
٣) الفهرست ١٠
٤) « ١٤
٥) الانساب ٥٨٠

الوراقون المحدثون

كانوا هم الفئة الغالبة لاقبال الناس عموماً على السماع والحفظ . وقد اقتصر السمعاني على سياقة بعض مشاهيرهم وتعيين بعض وفياتهم ، وملأ الخطيب كتابه تاريخ بغداد بتعداد من عرف منهم ، وبعد ان قضينا الايام والليالي في جمع اسمائهم واخبارهم ، رأينا العدول عن نقلها تجنباً للتطويل والملل . ولم ينس الخطيب التنبيه على بعض المخلطين منهم نظير ابن الخفاف محمد بن الحسين بن ابي بكر قال : « غير ثقة لا اشك انه كان يركب الاحاديث ويضعها على من يرويها عنه ويختلق اسماء وانساباً عجيبة لقوم حدث عنهم وعندي منه من تلك الاباطيل اشياء . . . قال لي ابن الخفاف : احترق مرة سوق باب الطاق فاحترق من كتبي الف وثمانون مناً كلها سماعي[1] » وقد اعترف مرة ابغداديين بقلة التخليط والكذب فقال : « اما اهل الكوفة واهل خراسان ايضاً فلهم من الاحاديث الموضوعة والاسانيد المصنوعة نسخ كثيرة وقلما يوجد بحمد الله في محدثي بغداد ما يوجد في غيرهم من الاشتهار بوضع الحديث والكذب في الرواية[2] » .

الوراقون الرواة والاخباريون

ذكر ابن النديم ان عبدالله بن ابي سعد كان اخبارياً نسابة راوية للشعر وله من الكتب : كتاب العربية ، وكتاب الايمان والدعاء والدواهي ، وكتاب المدينة واخبارها ، وكتاب الشعراء ، وكتاب الالقاب[3] . وفي الاصل المطبوع ان اسمه ابن ابي سعيد ، والصواب سعد كما في الاغاني (١ : ٩٦ و٩٨) وفي ارشاد الاريب (٢ : ٣٨ ؛ و٥ : ١٨٨) وهو احد الوراقين المعروفين بالادب وسعة الحفظ والرواية الذي نقل عنهم ابو الفرج الاصبهاني بعض احاديثه

---

١) تاريخ بغداد ٢ : ٢٥٠

٢) تاريخ بغداد ١ : ٤٤

٣) الفهرست ١٥٨

ومسموعاته وملأ بها كتابه علماً وظرفاً . ومنهم ايضاً الفضل بن العباس[١] ، وعيسى بن يحيى[٢] ، وابو محذورة[٣] ، وغانم الوراق[٤] ، وعلان الشعوبي[٥] ، وعثمان الوراق[٦] ، وعلي بن الحسين بن عبدالسميع المروزي[٧] ، ومطير الوراق[٨] ، وعبدالله بن عمر[٩] ، وابرهيم بن محمد[١٠] ، وابن ابي المدور[١١] ، ومن اكثرهم ذكراً واوسعهم حفظاً ورواية عيسى بن الحسين عددنا له ٣٨ رواية وحديثاً ، ولم نتقص في التتبع والاستيفاء .

ومن الرواة الذين اسند اليهم المسعودي بعض اخباره ، ابو الحسن محمد ابن علي الوراق الانطاكي المعروف بابن الفنوي الفقيه ، اجتمع به في انطاكية وانشده شعراً لعلي بن محمد بن بسام[١٢] .

الوراقون العلماء والنحاة والادباء

اشتهر منهم علي بن عيسى بن علي بن عبدالله الرماني ابو الحسن ، كان اماماً في العربية علامة في الادب ، في طبقة ابي علي الفارسي وابي سعيد السيرافي . اطنب ابو حيان التوحيدي في تقريظه فقال وقد ذكر العلماء الذين يفضلون الجاحظ : « ومنهم علي بن عيسى الرماني فانه لم يُرَ مثله قط علماً بالنحو وغزارة في الكلام وبصراً بالمقالات واستخراجاً للعويص وايضاحاً للمشكل

١) الاغاني ٥ : ٥٤
٢) « ١ : ١٤٤
٣) « ٧ : ٥٦
٤) « ٧ : ٦
٥) « ١١ : ١٧٢ ، و١٢ : ١٥٦
٦) « ١٢ : ٥
٧) « ١٣ : ١٧٦
٨) « ١٤ : ١٤٣
٩) « ١٧ : ٤٨
١٠) « ١٨ : ٤٧٠
١١) « ٢١ : ١٨٤
١٢) « مروج الذهب ١٠ : ٩٥ و١٠٤ و١٣٣

مع تألّه وتنزه ودين يقين وفصاحة وعفافة ونزاهة »[1] مات سنة ٣٨٤/٩٩٤ وله عدة تصانيف.

وكان الحسن بن حامد بن علي بن مروان ابو عبدالله الوراق الحنبلي «مدرس اصحاب احمد وفقيههم في زمانه وكان له المصنفات العظيمة منها كتاب الجامع اربعمائة جزء يشتمل على اختلاف الفقهاء. وله مصنفات في اصول السنة واصول الفقه وكان معظماً في النفوس مقدماً عند السلطان والعامة»[2]

ومن النحاة المتبحرين بالنحو وعلله محمد بن عبدالله ابو الحسن الورّاق كان بغدادياً وصنف في النحو كتباً حساناً ومات سنة ٣٨١/٩٩١.

وعُرف من الاندلسيين محمد بن حمدون الغافقي القرطبي الورّاق «سكن اشبيلية وعني بتقييد الفقه وكان حسن الخط ضابطاً »[3] وعلي بن عبدالله بن موسى بن طاهر الغفاري السرقسطي «كان عارفاً بالنحو واللغة والادب بارع الخط حسن الوراقة جيد الشعر مات بوادي آش في حدود الاربعين وخمسمائة»[4].

وعد كمال الدين ابو الحسن الشيباني القفطي في كتابه إنباه الرواة على أنباه النحاة في جملة علماء النحو: اسحق بن الجنيد البزّاز البصري الورّاق اللغوي صاحب ابي بكر بن دريد وصالحاً الورّاق النيسابوري ابا اسحق تلميذ ابي نصر اسمعيل بن حماد الجوهري صاحب الصحاح[5].

ومن الوراقين النحاة ايضاً ابو الحسن محمد بن هبة الله[6]، وابو جعفر محمد بن حاتم[7]، ومحمد بن الحسن الاحول من العلماء باللغة والشعر، وكان ناسخاً يورق لحنين بن اسحق في منقولاته[8].

١) ارشاد الاريب ٥ : ٢٨٠ - ٢٨٢
٢) تاريخ بغداد ٧ : ٣٠٣
٣) بغية الوعاة للسيوطي ٢٩
٤) 〃 〃 〃 ٣٤٠
٥) نسخة مصورة في دار الكتب المصرية (رقم ٢٥٧٩ تاريخ) مجلد ١ جزء ١، ص ١٩٦، ومجلد ٣ جزء ٣ ص ٢٦٣
٦) نزهة الالباء في طبقات الادباء، طبعة مصر ١٢٩٤، ص ٤٢٨
٧) تاريخ بغداد ٢ : ٦ و ٩
٨) انباه الرواة مجلد ٣، جزء ١، ص ٦٤

ومن الوراقين الادباء ابو الحسن علي بن المغيرة الاثرم «كان صاحب كتب مصححة قد لقي بها العلماء. وضبط ما ضمنها ومات سنة ٢٣٣ (٨٤٦م)» وله من الكتب: كتاب النوادر وكتاب غريب الحديث وحدث ابو مسحل عبد الوهاب قال. كان اسمعيل بن صبيح الكاتب قد اقدم ابا عبيدة من البصرة في ايام الرشيد الى بغداد واحضر الاثرم وهو يومئذ وراق وجعله في دار من دوره واغلق عليه الباب ودفع اليه كتب ابي عبيدة وامره بنسخها فكنت انا وجماعة من اصحابنا نصير الى الاثرم فيدفع لنا الكتاب والورق الابيض من عنده ويسألنا نسخه وتعجيله ويوافقنا على الوقت الذي نرده اليه فكنا نفعل ذلك، ويؤخذ من ستة ابيات نقلها عنه ياقوت انه توفي وقد تجاوز تسعين سنة من العمر[1].

ومن اوسعهم علماً وابعدهم ذكراً ابو حيان التوحيدي، وهو الذي دعا الوراقة «حرفة الشؤم»، كما تقدم من لفظه، وهو امام الوراقين، اطال ياقوت في ترجمته وحكاية اخباره ووصفه بانه كان متفنناً في جميع العلوم من النحو واللغة والشعر والادب والفقه والكلام، وانه فيلسوف الادباء واديب الفلاسفة، فرد الدنيا لا نظير له ذكاء وفطنة وفصاحة ومكنة واسع الدراية والرواية قال: ولكنه مع ذلك كان سخيف اللسان قليل الرضى يتشكى صرف زمانه ويبكي في تصانيفه على حرمانه[2]. وقد سبق مثال من ذمه الصاحب بن عباد. واورد له ياقوت نظائر من كتابه اخلاق الوزيرين. وفاتنا بضياع هذا الكتاب وكتابه الآخر «المحاضرات والمناظرات» فوائد غريبة ونوادر يتيمة ومن وقف على كتبه: «الامتاع والمؤانسة» و«المقابسات» و«رسالة الصديق والصداقة» يدرك مقدار فضل الرجل وبعد غوره وله تصانيف كثيرة احرق جانباً وغسل جانباً آخر منها في آخر عمره قال: «لقلة جدواها وضناً بها على من لا يعرف قدرها بعد موته» واعتذر عن هذا الاثم

---

١) ارشاد الاريب ٥ : ٤٢١ ؛ ونزهة الالباء ٢١٩

٢) « « ٥ : ٣٨٠ – ٣٨١

بالتأسي بمن سبقه من الائمة والعلماء. ويؤخذ من كلام له انه كان حياً بعد سنة ٤٠٠ (١٠٠٩ م) وانه بلغ عمر التسعين[١].

ومن ادباء الوراقين ومتقدميهم ابو حفص الاصبهاني كتب الى الصاحب ابن عباد رقعة يستميح بها حنطة قال له فيها: « حال عبد مولانا في الحنطة متخلفة وجرذان داره عنها منصرفة » فوقع على رقعته: « احسنت يا ابا حفص قولًا وسنحسن فعلًا فبشر جرذان دارك بالخصب وآمنها من الجدب فالحنطة تأتيك في الاسبوع ولست عن غيرها من النفقة بممنوع »[٢].

ومنهم ابو الفتح بن الخراز، وابو بكر القنطري، وابو الحسين بن الخراساني، وهذان قال ياقوت « هما من جلّة اهل هذه الصنعة.»[٣] ومنهم ايضاً ابو القاسم بن عقيل الوراق حدّث ان ابا جعفر الطبري قال لاصحابه: « أتنشطون لتفسير القرآن قالوا بكم يكون قدره قال: ثلاثون الف ورقة فقالوا: هذا مما يفني الاعمار قبل تمامه فاختصره في نحو ثلاثة آلاف ورقة ثم قال تنشطون لتاريخ العالم من آدم الى وقتنا؟ قالوا: كم قدره فذكر نحواً مما ذكره في التفسير فاجابوه بمثل ذلك فقال: انا لله ماتت الهمم فاختصره في نحو ما اختصر التفسير »[٤]. ولعلّ اصحاب الطبري كانوا ورّاقيه ومنهم كان ايضاً في الارجح ابو القاسم بن حُبيش قال: « كان قد التمس مني ابو جعفر الطبري ان اجمع له كتب الناس في القياس فجمعت له نيفاً وثلاثين كتاباً فاقامت عنده مُديدة . . . فردّها علي وفيها علامات له بحمرة قد علم عليها[٥].»

ومنهم ابو اسحق ابرهيم بن صالح، تلميذ الجوهري، ذكره الباخرزي في كتاب دمية القصر وانشد له بيتين في معنى دودة القز. وروى له ياقوت

---

١) ارشاد الاريب ٥ : ٢٨٨
٢) « « ٢ : ٣٢٦ – ٣٢٧
٣) « « ٣ : ١٠٥
٤) « « ٦ : ٤٢٥ – ٤٢٦
٥) « « ٦ : ٤٥٣

بيتين آخرين في الهجاء.[١] . وقال انه، لما مات الجوهري ، بعد ان سمع منهُ كتاب الصحاح الى باب الضاد المعجمة ، بقي بقية الكتاب مسودة غير منقحة ولا مبيضة ، فبيّضه ابو اسحق ابرهيم بن صالح الوراق تلميذ الجوهري بعد موته فغلط فيه في عدة مواضع غلطاً فاحشاً[٢] ، ولا نعلم هل كان والده صالح هو الوراق الذي ذكر ابو حيّان التوحيدي انه كان في حضرة الصاحب بن عباد في جملة من الكتاب والندماء.[٣] .

وقد تقدم ذكر ابن ابي الجوع وثناء ابن خلكان عليه لحلاوة شعره ومما يشهد ايضاً بتقدمه وتفوقه في الادب والعلم ما حكاه ابن خلكان في كلامه على الامير المختار عزّ الملك المعروف بالمسبحي ، الكاتب الحرّاني الاصل المصري المولد قال : « استزارابا محمد عبيد الله بن ابي الجوع الاديب الوراق الكاتب المشهور فعمل المسبحي هذه الابيات وانشده اياها على البديهة:

حللتَ فاحللتَ قلبي السرورَ وكاد لفرحته ان يطيرا
وامطر علمك سحب السماء ولولاك ما كان يوماً مطيرا
تضوّع نشرك لما وردت وعاد الظلام ضياء منيرا[٤]

ووصفه الصفدي فقال: « كان محققاً للنحو واللغة والبلاغة وقول الشعر جيد الخط مليح الضبط ومات بمصر سنة ٣٩٥ »[٥] (١٠٠٤م)

وفي مقدمة الورّاقين وابعدهم صيتاً محمد بن اسحق النديم المعروف بالوراق ومن طالع كتابه الفهرست مع ما اعتوره من النقص واغلاط النسخ والطبع ، يعلم منزلته في العلم ورواية الاخبار والانساب والتراجم وسعة الاطلاع والحفظ ، وكانت وفاته سنة ٣٨٥/٩٩٥ ، ولا ندري هل نسج بعده احد على منواله في تعريف الكتب والمصنفين في انواع العلوم والفنون . واشتهر نظيره ياقوت الرومي الحموي بكتابيه « معجم البلدان » و « معجم الادباء » واربى عليه

١) ارشاد الاريب ١ : ٦٥
٢) « « ٢ : ٢٦٩
٣) « « ٥ : ٢٩٣
٤) وفيات الاعيان ٣٤٣
٥) بغية الوعاة للسيوطي

بخدمة التاريخ وتعريف البلدان . ومن الغريب جداً ان يكون مثل الوزير كمال الدين القفطي قد بخسه حقه وتنقّصه كثيراً في إخباره عنه في كتابه المخطوط انباه الرواة مع ان ياقوت لم يقصر في الثناء عليه ووصفه بالرئاسة والعلم والفضل والإفضال كل مرة اشار اليه فيها . ولا بد دفعاً للظلم وحبّاً بالعدل والانصاف من نقل كلام القفطي بحرفه ليتضح تحامله واستخفافه بمؤلف معجم البلدان قال باختصار قليل :

« كان رحمه الله وعفا عنه رومي الجنس أسر صغيراً وابتاعه ببغداد رجل تاجر يعرف بعسكر الحموي وجعله في الكتّاب لينتفع به في ضبط تجارته . . . ولما كبر ياقوت هذا قرأ شيئاً يسيراً من النحو واللغة وشغله مولاه بالاسفار في متاجره فكان يتكرر الى كيش والشام ثم جرت بينهما نبوة اقتضتها الحال فعتقه وابعده عنه فاشتغل بالنسخ بالاجرة وحصّل بالمطالعة فوائد اقتضاها فهمه على عسر كان في فهمه ومكابرة كانت في خلقه . . . وربما جمل بعض تجارته كتباً وكان ذلك سبب اجتماعي به . . . وتأملته في منظره ومخبره فتوسمت فيه اموراً لم يخلّ حدسي فيها وعلمت انه لا يصلح للعشرة وسافر من حلب وعاد اليها دفعة اخرى في شهور سنة ثلث عشرة وستمائة واحضر معه كتباً ذكر انها وديعة لغيره كان في بعضها الجيد وتوجه الى دمشق وكان شديد الانحراف عن علي بن ابي طالب (عم) . . . ولما دخل دمشق قعد في بعض اسواقها يناظر من يتعصب لعلي وجرى بينهما كلام ادّى الى ذكره علياً بما لم يسغ جارياً على عادته في ذلك فثار الناس عليه ثورة كادوا ان يقتلوه لما سمعوه منه وقدّر الله له السلامة فخرج عن دمشق منهزماً بعد طلب واليها المعتمد الموصلي وجاء الى حلب خائفاً يترقب وخرج عن حلب في العشر الاول والثاني من جمادى الآخرة سنة ثلث عشرة وستمائة ووصل الى الموصل متخيّفاً (كذا) من قوله وتوجه الى اربل وسلك منها الى خراسان وتحامى دخول بغداد لان المناظر له كان بغدادياً وخشي ان ينقل قوله فيطيح دمه واقام بخراسان يتجر في بلادها واستوطن مرو وخرج عنها الى نسا وسلك الى خوارزم في جيحون وصادفه وهو في خوارزم خروج التتار فانهزم بنفسه كبعثه

يوم الحشر من رمسه وقاسى من القلة والتعب وتشمت الحال ماكان يكلّ عن وصفه ووصل الى الموصل وقد تقطعت به الاسباب واعوزه دنيّ المآكل وخشن الثياب وتلوّم بالموصل مدة ثم وصل الى سنجار ومن سنجار الى حلب ولما وصل دخل عليّ في حالة يسوء منظرها ووصف من امره اموراً لا يسر مخبرها وقال قد القيت عصاي ببابك وخيّم املي بجانب جنابك فقلت في جوابه : اقاسمك العيش وسألت الله ان يرزقني الثبات على خلته لا الطيش فان اخلاقه خلقة ومخاريقه منخرقة . . . فاقام مشاركاً المملوم باذلاً لـه كتب العلوم فلفق منها مجموعات لم يكملها ونسخ وباع في عدة سنين اقامها عندي محمول الكلفة بحكمة اقتضاها حالـه وسافر ببضاعة من الخام الى مصر فاربحته ربحاً قريباً وعاد بمحمول مصر فاربح فيـه واقام بالجنان ظاهر حلب فمرض ومات به في العشرين من شهر رمضان سنة ست وعشرين وستمائة رحمه الله »[1] .

ونحن لا نلوم كمال الدين لتضجره من سوء خلق ياقوت كما عابه به ولا من استثقاله ضيافته وعشرته ولكن ننكر عليه اشد الانكار نسبة عسر الفهم اليه ووصف كتبه بالتلفيق والمخرقة، وقد ذكر ياقوت انه جمعها واقتبس اكثر فوائدها من الخزائن، التي طالعها في مرو ، وليس من الكتب التي وقف عليها في دار كمال الدين في حلب فهل يسوغ لنا ان نتهم مؤلف انباه الرواة بحسد ياقوت عليها . وما ندري اي كتبه يعني بالمجموعات التي لم يكملها فهل لم يقف على مؤلفاته « معجم البلدان » « ومعجم الادباء » و« المشترك » ? ام سكت عنها تعمداً ! وحقداً .

ومن فضلاء الوراقين وادبائهم سعد بن علي بن القاسم الانصاري الحظيري مؤلف « زينة الدهر وعصرة اهل العصر » المتوفى سنة ٥٦٨/١١٣٢[2] وسيأتي ذكره في مقدمة الوراقين الدلالين .

١) إنباه الرواة على أنباه النحاة مجلد ٣ ، جزء رابع ، ص ٣٦٢ — ٣٨٠

٢) ارشاد الاريب ٤ : ٢٢٣

الوراقون الكتبيون

اشتهر في العصور الاخيرة بعض الوراقين ببيع الكتب ، ولذلك كان يقال لهم الكتبيون ، ومنهم جمال الدين محمد بن ابرهيم بن يحيى المعروف بالوطواط ولد سنة ٦٣٢/١٢٣٤ . وله « غرر الخصائص الواضحة وغرر النقائص الفاضحة » المطبوع ، وكتاب «مباهج الفكر ومناهج العبر» المخطوط ومنه نسخة في خزانة برتش موزيوم (Adol. 7483) ونسخ في دار الكتب المصرية (رقم ٣٢٤ و٣٥٩ و٤٢٠ علوم طبيعية) واحسنها رقم ٣٥٩ المصورة في ثلاثة مجلدات وفيها فوائد جمة ومقتبسات ممتعة ولا تعاب الا بتكلف السجع ، وهو العيب الذي كان غالباً في زمانه قال في مقدمته : وبعد فاني لم ازل من قبل ان يبلغ عمري الابدار وبصدني التكليف عن ركوب مطا الخطر في الايراد والاصدار متخذاً الوراقة صناعة وبضاعة ، معتمداً عليها في إخلاف ما اتلفه الاتقان والصناعة حتى سبقت في معرفتها من كان وجيهاً ورجاني في عوائد موائدها من ظل زمانا بنفسه يرتجيها وكنت قد وكلت بمراجعة الكتب قلباً وشغفت بها كلفاً وحباً[1] . . .

ومن الكتبيين النساخ محمد بن احمد القرشي الدمشقي ابو عبدالله شرف الدين كان خطه كثير السقم مع حسنه توفي سنة ٦٨٠ / ١٢٨١ وسيمر بنا قريباً ذكر ابن شمعون الكتبي في جملة الوراقين الشعراء .

واشتهر بدمشق محمد بن شاكر الداراني الدمشقي « كان فقيراً جداً ثم تعاطى التجارة في الكتب فرزق منها مالاً طائلاً »[2] وله فوات الوفيات المطبوع ، وكتاب عيون التواريخ المخطوط ، ومنه مجلدات بقلمه محفوظة في خزانة الفاتيكان والخزانة التيمورية في القاهرة ، واجزاء منسوخة في دار الكتب الظاهرية بدمشق والمكتبة الاحمدية في حلب . وفي خزانة باريس مجلد منه توسع فيه جداً في الكلام على دمشق ومصانعها ودورها القديمة وبعض خططها وروى كثيراً من الاشعار المقولة فيها نقل سوفير في المجلة الاسيوية في باريس صفحات منه الى الفرنسية والمجلد باسره حري بالنشر وكانت وفاة ابن شاكر سنة ٧٦٤/١٣٦٢ .

---

١) مباهج الفكر ، رقم ٣٥٩ ، دار الكتب المصرية ، ص ٣

٢) الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني ، طبعة حيدر اباد ، ٣ : ٤٥١

ومن كتبي القرن الثامن للهجرة شمس الدين محمد بن قاضي اليمن توفي بدمشق سنة ١٣١١/٧١١[1] وابو اسحق ابرهيم بن شمس الدين الفاشوشة اشتغل بالعربية والادب ومن شعره في المشمش اللوزي :

قد اتى سيدُ الفواكه في ثو بِ نضارٍ والشهد منه يفور
يشبه العاشق المتيم حالاً اصفر اللون قلبه مكسور[2]

توفي سنة ١٣٣٢/٧٣٣ وتوفي بعده في رجب سنة ١٣٩٣/٧٩٥ احمد بن ابرهيم الكتبي الصالحي الحنفي كان مشاركاً في الفنون[3]

الوراقون القضاة

عرف منهم محمد بن ابي الليث الاصمّ . ولي القضاء بمصر من قِبل ابي اسحق المعتصم سنة ٢٢٦ (٨٤١–٨٤٠) « وكان قبل دخوله مصر ورّاقاً على باب الواقدي وكان فقيهاً بمذهب الكوفيين»[4] .

وفي سنة ١٠٠٨/٣٩٨ « استخلف مالك بن سعيد قاضي مصر حمزة بن علي القلبوني وفوّض اليه جميع الامور . . فرفع اليه جماعة عنه اموراً انكروها وبالغوا في ذلك . . وكتبوا محضراً اشتمل على عظائم . . . وكانت صورة المحضر بعد البسملة : هذا ما شهد به من يسمى في هذا الكتاب انهم يعرفون حمزة بن علي بن يعقوب القلبوني الورّاق معرفة صحيحة»[5]

وفي سنة ١١٨٢/٥٧٨ « توفي ابو الحسن علي بن ابي المعالي المبارك وقيل احمد بن ابي الفضل بن ابي القاسم الورّاق الدارقزي المحوّلي الفقيه المعروف بابن غريبة ولد في منتصف رمضان سنة ٥٠٦ (١١١٣م) وسمع وتفقّه وولاه الوزير ابن هبيرة رفع المظالم وانقطع في آخر عمره بالمحوّل الى ان فلج ومات»[6]

ومن القضاة الورّاقين الزنوج محيي الدين عبد القادر النبراوي كان اقدم

١) تالي كتاب الاعيان للصفاعي ٢٠٦١ باريس ، ٩٦
٢) شذرات الذهب ٦ : ١٠٤
٣) « « ٦ : ٣٣٧ – ٣٣٨
٤) كتاب الولاة والقضاة للكندي ، ٤٤٩
٥) ذيل كتاب الولاة ٦٠٩ ، عن رفع الاصر ٤٣
٦) شذرات الذهب ٤ : ٢٦٤

الحنابلة بمصر واعرفهم بصناعة التوريق والقضاء والفقه وكان اسود اللون »[١]

الوراقون الشعراء

كان بكر بن خارجة الكوفي « ضيّق العيش مقتصراً على التكسب من الوراقة وصرف اكثر ما يكسبه الى النبيذ وكان طيب الشعر مليحاً مطبوعاً ماجناً قال محمد بن الحجاج : رأيت بكر بن خارجة يبكر كل يوم بقنينتين من الشراب الى خراب من خرابات الحيرة فلا يزال يشرب فيه على صوت هدهد كان يأوي ذلك الخراب الى ان يسكر ثم ينصرف وكان يتعشق ذلك الهدهد »[٢]

وحرّم مرة بعض الامراء بالكوفة بيع الخمر على خمّاري الحيرة وركب فكسر نبيذهم فجاء بكر يشرب عندهم على عادته فرأى الخمر مصبوبة في الرحاب والطرق فبكى طويلاً وقال :

يا لقومي لما جنى السلطانُ لا يكونن لما اهان الهوانُ
قهوة في التراب من حاب الكرم عقار كأنها الزعفران
قهوة في مكان سوء لقد صا دف سعد السعود ذلك المكان
من كميت يبدي المزاج لها لو نُ نظام والفصل منها جمان
فاذا ما اصطبحتها صفّرت في القدر تختالها هي الجرذان
كيف صبري عن بعض نفسي وهل يصبر عن بعض نفسه الانسان

ولبكر بن خارجة في عيسى بن ايليا[٣] العبادي الصيرفي من اهل الحيرة قصيدة غزلية على نمط قصيدة مدرك بن علي الشيباني في عمرو بن يوحنا النسطوري ، وقصيدة ابي نواس في عبد يشوع بن دار سرجس منها قوله :

بدارت مريم وبدير زكّى ومن نومها ودير الجاثليق
وبالانجيل يتلوه شيوخٌ من القسّان في البيت العتيق
وبالقربان وبالصلبان الا رثيت لقلبي الدنف المشوق
أجرني ممت قبلك - من هموم وأرشدني الى وجه الطريق
فقد ضاقت عليّ وجوه امري وانت المستجار من المضيق[٤]

١) شذرات الذهب ٨ : ١٥٩

٢) الاغاني : ٢٠ : ٨٧ – ٨٨

٣) في الاغاني ان اسمه عيسى بن البراء ؛ وفي مسالك الابصار عشير بن ايلياء والصواب ما اثبتناه .

٤) معجم ما استعجم للبكري ٣٧١

وله فيه ايضاً قصيدة مزدوجة منها البيتان :

وشادن قلبي به معمودُ شيمته الهجران والصدودُ
زنّاره في خصره معقود كأنه من كبدي مقدودُ

قال دعبل الشاعر : ما يعلم الله اني حسدت احداً قط ما حسدت بكرًا على هذين البيتين[١].

وكان لعمرو الوراق ديوان مجموع خمسون ورقة[٢] وصفه الشابشتي فقال : كان عمرو هذا من الخلعاء المجّان المنهمكين في البطالة والخسارة والاستهتار بالمرد والتطرح في الديارات وله شعر كثير في المجون ووصف الخمر . وروى طائفة من اشعاره اغلبها في المجون نجتزئ بايراد الآتية منها لدلالتها على مذهبه قال :

ومدامةٍ كرخيّةٍ حمراء من ماء العنبْ
عاقرتها في فتيةٍ ليسوا على دين العربْ
في معشرٍ مهروا المجا نة في اللذاذة والطربْ
جعلوا المجانة سترة للعاذلين على الريبْ
تمضي الصلاة عليهم والسكر منهم في العصبْ
واذا مضت صلواتهم صلّوا جمادى في رجبْ[٣]

وفي كتاب الاغاني ذكر عمر الوراق ، وهو ولا شك عمر بن عبد الملك الذي اشار اليه ياقوت في معجم البلدان . وكان عمر هذا في ايام ابي نواس ، حدّث يوسف بن الداية قال : كان ابو نواس والفضل الرقاشي جالسين فجاء عمر الوراق فقال : رأيت جارية خرجت من دار آل سليمان بن علي فما رأيت احسن منها هيفاء نجلاء زجّاء دعجاء كانها خوط بان او جدل عنان فخاطبتها فخاطبتني باحلى لفظ وافصح لسان واجمل خطاب فقال الرقاشي : قد والله عشقتها قال ابو نواس : أوَ تعرفها ؟ قال : لا ولكن بالصفة وانشأ يقول :

صفات وحسن اورثا القلب لوعةً تضرّم في احشاء قلب متيّم

١) الاغاني ٢٠ : ٨٧
٢) الفهرست ٢٣٢
٣) كتاب الديارات ٧٤ – ٧٥

قتلتها نفسي لعيني فاشتي عليها بطرف الناظر المتيم
ويحاني حبي لها فوق طاقتي من الشوق دأب الحائر المتقسم(١

واورد ياقوت لعمر بن عبد الملك قوله في دير مار يوحنا الى جانب تكريت:

اری قلبي قـد حنّ الى دير مريحنا
الى غيطانه الفيح الى بركتـه الغنّا
الى ظبي من الانس يصيد الانس والجنّا
الى غصن من الآس به قلبي قـد جُنّا
الى احسن خلق الله ان قدّس او غنّى
فلما انبلج الصبح بزلنا بيننا دنّا
ولما دارت الكأس أدرنا بيننا لحنا
ولما هجع السـمّار نلنـا وتعانقنا(٢

ومن المجّان التائبين محمود بن حسن الورّاق البغدادي . حكى السمعاني انه اكثر القول في الزهد والآداب والحكم(٣. ولا ندري كيف يتفق هذا الوصف بما رواه الشابشتي انه كان بينه وبين ابي الشبل البرجمي احد المتطرحين في الحانات والديارات « مودة وكانا لا يفترقان وذكر ابو الشبل قال : صرت انا ومحمود الوراق الى قطربل فدعونا الخمار فقلنا : ائتنا ببنت عشر قد انضجها الهجير فجاءنا بها فقلنا : اسقنا فسقانا فقلنا: اشرب واسقنا فقال : انا مسلم وكان يهودياً قد اسلم فقال لي محمود: قوم يكون الخمار عندهم مسلماً متحرجاً وهم عند الخمار كفّار أترى لله فيهم حاجة(٤ ومثل هذه الحكاية في الاغاني (١٣ : ٢٤) وفي آخرها اشارة الى ما ارتكبه كل من الصاحبين من الفسق والفحشاء . وروى السمعاني انه كان يتّجر ايضاً ببيع الرقيق ومات في خلافة المعتصم « قيل ان المعتصم طلب جارية لمحمود الورّاق بسبعة آلاف دينار فامتنع محمود من بيعها فلما مات محمود اشتُريت للمعتصم من ميراث محمود بسبعمائة دينار فلما وصلت اليه قال : كيف رأيت تركتك حتى اشتريتك من سبعة

١) الاغاني ١٥ : ٣٦
٢) معجم البلدان ٢ : ٧٠١
٣) الانساب ٥٨
٤) الديارات ٣٠

الاف بسبعمائة قالت: اجل اذا كان الخليفة ينتظر بشهواته المواريث فان سبعين دينارًا كثيرة في ثمني فضلًا عن سبعمائة فاخجلته[1]»

ومن الغريب ان تتلاءم تجارة الرقيق بتجارة الوراقة ولعل اقب الوراق لمحمود كان اسمًا فقط لا حرفة يرتزق بها او أنه بدأ بالوراقة وعرف بها ثم انتقل الى النخاسة، وختم عمره بالزهد ونظم الحكم والاداب تكفيرًا عن لهوه ومجونه. وامثال هؤلاء المجّان الذين ادركتهم التوبة على شفا القبر كثيرون في الاسلام. ولمحمود الوراق ابيات يتمثل بها ذكرها النويري في نهاية الارب (٣ : ٨٨)

وروى له الخطيب في تاريخ بغداد الابيات الآتية قال انشدها لنفسه.

رجعت الى السفيه بفضل علمي فكان الحلم عنه له لجاما
وظنّ بي السفاه فلم يجدني اسافهه وقلت له سلاما
فقام يجرّ رجليه ذليلا وقد كسب المذلة والملاما
وفضل الحلم ابلغ في سفيه واحرى ان تنال به انتقاما

حدّث ابو بكر الطالقاني عن ابيه قال: كنت جالسًا عند محمود الوراق والناس يعزّونه عن جاريته نشو وكان قد أعطي بها آلافًا من الدنانير. واذا بعض المعزّين يكرر ذكر فضلها عنده ليحزنه، ففطن له فانشأ يقول:

ومُتنصح يكرر ذكر نشو ليحدث لي بذكراها اكتئابا
اقول وعدّ ما كانت تساوي سيخلفه الذي خلق الحسابا
عطيته اذا اعطى سرورًا وان اخذ الذي اعطى اثابا
فاي النعمتين اعمّ فضلًا واكرم في عواقبها ايابا
انعمته التي اهدت سرورًا ام الاخرى التي اهدت ثوابا
بل الاخرى وان نزلت بكره احق بصبر من صبر احتسابا

ولمحمود ايضًا:

كبر الكبير عن الادب ادب الكبير من التعب
حتى متى والى متى هذا التمادي في اللعب
والرزق ان لم تأته لاتاك عفوًا من كثب
ان غث عنه لم يتم حتى يحركه السبب[2]

١) الانساب ٥٨٠
٢) تاريخ بغداد ١٣ : ٨٨

ولمساور الوراق ديوان في خمسين ورقة[1] . ويظهر انه كان محروماً من حرفته لا يتبلّغ بها ، ولذلك سأل ابن ليلى ان يشغله في جملة قوم كتبهم لعيسى ابن موسى فلم يفعل فانشأ يقول :

اراك تشير باهل الصلا ح فهل لك في الشاعر المسلم
كثير العيال قليل السؤال عفّ مطاعمه معدم
يقيم الصلاة ويؤتي الزكا ة وقد حلق الهام بالموسم
واصبح والله في قومه واسى ولبس بذي درهم

فولّاه عيسى بن موسى عملاً ودفع اليه عهده فانكسر عليه الخراج فدُفع الى بَطين صاحب عذاب عيسى ليستأديه .

وقيل سمع مساور الوراق لغط اصحاب ابي حنيفه وصياحهم فانشأ يقول:

كنا من الدين قبل اليوم في سعة حتى بلينا باصحاب المقاييس
قوم اذا اجتمعوا ضجوا كأنهم ثعالب نبحت بين النواويس

فبلغ ذلك ابا حنيفة واصحابه فشقّ عليهم وتوعدوه فقال ابياتاً ترضيهم وهي:

اذا ما الناس يوماً قايسونا بآبدة من الفتيا ظريفه
اتيناهم بمقياس ظريف مصيب من قياس ابي حنيفه
اذا سمع الفقيه بها وعاها واثبتها بحبر في صحيفه

فبلغ ابا حنيفة فرضي . قال مساور : ثم دعينا الى وليمة بالكوفة في يوم شديد الحر فلم اجد لرجلي موضعاً من الزحام واذا ابو حنيفة في صدر البيت فلما رآني قال لي: يا مساور اليّ يا مساور فجئته فاذا مكان واسع وقال لي: اجلس فجلست فقلت في نفسي نفعتني ابياتي اليوم . قال وكان اذا رآني بعد ذلك يقول لي: ههنا ههنا ويوسع لي الى جنبه ويقول: هذا من اهل الادب والفهم[2] » .

ولا يخفى ما في هذه النكتة من الملاحة والدلالة على الاخلاق والاوصاف في الحضارة العباسية .

---

١) الفهرست ٢٣٠

٢) الاغاني ١٦ : ١٦٧ – ١٦٩

وعُرف ايضاً من الوراقين الشعراء سهل بن ابرهيم من اهل القرن الثاني، من ادباء القيروان، اورد له ياقوت بيتين في حصار سوسة[1]. وعلي بن الحسين ابن علي العبدي «يعرف بابن كوجك الوراق كان اديبا فاضلًا يورق بمصر وصنف كتباً منها كتاب الطنبوريين. ومدح سيف الدولة لما فتح الحدث، وكان ابوه الحسين بن علي من اهل الادب والشعر[2]» وممن عرفوا بالمجون والنفاق ابو بكر الوراق التيمي الشاعر سيأتي ذكره في جملة ظرفاء الوراقين.

ومنهم ابو حاتم الوراق من قرية كشمر من نيسابور. وعبدالله بن صلرة الشنتريني المتوفى في المرية بالاندلس سنة ٥١٧/١١٢٣، وقد تقدم لكل منهما بيتان في ذمّ الوراقة. وسيأتي ذكر علّان الشعوبي الوراق الشاعر الذي انتصر لعبدالله بن طاهر، وردّ على محمد بن يزيد الحصني الاموي.

ومن اشهر الشعراء المحترفين الذين عُرفوا بلقب حرفتهم الاولى السري الرفّاء الموصلي «لما جاد شعره انتقل من حرفة الرفو الى حرفة الادب واشتغل بالوراقة[3]» و«ونابذ الخالديّين الموصليين وناصبهما العداوة وادعى عليهما سرقة شعره وشعر غيره وجعل يورق! وينسخ ديوان شعر ابي الفتح كشاجم وهو اذ ذاك ريحان اهل الادب بتلك البلاد ... وكان يدس في ما يكتبه من شعره احسن شعر الخالديين ليزيد في حجم ما ينسخه وينفق سوقه ويغلي سعره ويشنع بذلك على الخالديين ويغض منهما. ومن اوائل شعره وهو بالموصل في سوق البزازين يطرّز قوله لصديق له كتب اليه يسأله عن خبره:

يكفيك من جملة اخباري	يسري من الحب وإعساري
في سوقة افضلهم مرتد	نقصاً ففضلي بينهم عاري
وكانت الابرة في ما مضى	صائنة وجهي واشعاري
فاصبح الرزق بها ضيقاً	كأنه من ثقبها جاري[4]

وقد اطال الثعالبي في الكلام على اشعاره ومآخذه، وتكراراته وقلائده

---

١) معجم البلدان ٣ : ١٩٢ ؛ وارشاد الاريب ٤ : ٢٥٦

٢) ارشاد الاريب ٥ : ١٧٩

٣) « « ٤ : ٢٢٧

٤) يتيمة الدهر طبعة دمشق ١ : ٤٥٠ – ٤٥١

وغرر معانيه، ودعواه سرقات الخالديين وغيرهما من شعره، واهاجيه للشعراء وغزلياته وتذكاراته وامداحه ومعاتباته، ومـا اخرج له في الربيع وآثاره وازهاره والشراب، وما يتصل به والاستزارة ونعت الآتها واوصاف له شتى استغرق فيها ٥٧ صفحة من كتاب اليتيمة (١: ٤٥٠–٥٠٧). وذكر ياقوت ان السري توفي في بغداد سنة ٩٧٢/٣٦٢. وقال الخطيب: «آذاه الخالديان اذى شديداً وقطعا رسمه من سيف الدولة وغيره[1]».

ومن الشعراء الذين ماتوا وجداً وهياماً سعد الورّاق في الرها «كان دكانه مجلس كل اديب وكان حسن الادب والفهم يعمل شعراً رقيقاً»[2] ألف دكانه غلام نصراني تأدب فما لبث سعد ان أولع به ولما ترهب الغلام تبعه الى الدير ومات على بابه جنوناً وقد ساق ياقوت قصته واشعاره في كتابه ارشاد الاريب (٢:٢٢–٢٦) وحكيناها نحن في كتابنـا الديارات النصرانية في الاسلام (٨١–٨٣) نقلاً عن عيون التواريخ لابن شاكر الكتبي وكتاب الديارات لابي الفرج الاصبهاني.

وفي المنهل الصافي لابن تغري بردي بيتان لسعد بن علي الوراق في صفـة ساعٍ وهما:

وساعٍ سريع اذا ما عدا	لقلبي سبى ولدمعي سفك
يسابق في الجري ريح الشما	ل فيزري على دوران الفلك[3]

وهو دون ريب غير سعد الرهاوي المتقدم

وفي تاريخ بغداد للخطيب الابيات الآتية لعلي بن الحسن بن علي بن زكريا ابي القاسم، الشاعر الورّاق:

سرور الدنوّ بحزن الزيال	كذا الدهر يعقب حالا بحال
ومرّ الفراق بحلو التلاق	وقبح الصدود بحسن الوصال
وطول البكاء لفقد الحبيب	برؤية وجه بديع الجمال
تريد كمالاً ويأبى الزمان	فيأتيك رغما بضد الكمال[4]

١) تاريخ بغداد ٩ : ١٩٤
٢) ارشاد الاريب ٢ : ٢٢
٣) المنهل الصافي ١ : ١٩٣
٤) تاريخ بغداد ١١ : ٣٨٤ – ٣٨٥

ومن الكتبيين المتأخرين شمس الدين ابرهيم بن ابي بكر بن عبد العزيز الجزري نسبته الى جزيرة ابن عمر ويُعرف بابن شمعون « كان من الفضلاء المطلعين على العلوم واخبار العالم وتواريخ المتقدمين واجتمع له من الكتب في حانوته بدمشق شيء كثير ولما احترقت سوق اللبادين في الدولة المنصورية قلاوون احترق جميع ما كان في حانوته من الكتب ثم توجه بتجر الى الديار المصرية في الايام الكاملية فاتفق في ذلك وقت حضور المطربين في خدمة السلطان فغنت بعض النسوان :

يا ايها القمر المنير من جور حسنك من يجيري

فاعجب السلطان واطلق المغنية آلات المجلس وكان في جملة المطربين بنت نوري فطلبت من يعمل ابياتاً في هذا الوزن فعرفها بعض اصحاب شمس الدين هذا به فسألته ذلك فعمل :

قسماً بديجور الشعور وبصبح إسفار الثغور
وباسمر حلو اللما طفر واللمى امسى سجيري
ما للصوارم والقنا فعل اللواحظ في الصدور

فغنتها بنت نوري فاطلق لها السلطان المجلس . ثم عرض لشمس الدين المذكور مرض فنقلته الى دارها وخدمته الى ان عوفي وقالت له : كل ما في البيت من احسانك .

وله في شخص بدمشق :

قالوا به يبس وفرط قساوة فكأنه في الحالتين حديد
فاجبتهم كذباً ومَيناً قلتم من اين يشبه طبعه الجلمود
ومياه جلّق كلها منحازة في بعضه فهو الفتى المحمود
القاظه يردى وصورة جسمه ثورا واسا كذبه فيزيد(١

واشهر المتأخرين عمر بن محمد بن سراج الدين الوراق المصري، كان اشقر ازرق وفي ذلك يقول :

ومن رآني والحمار مركبي وزرقتي للروم عرق قد ضرب
قال وقد ابصر وجهي مقبلاً لا فارس الخيل ولا وجه العرب

١) تالي وفيات الاعيان للفضل ابن الصقاعي ، ٢٠٦١ باريس ، ١٥

واورد له ابن شاكر لطائف ومختارات لا يخلو بعضها من الفحش والقذر، وهو العيب الذي لا يكاد يتبرأ منه شاعر في الغالب، وشعره كثير جداً اثبت منه بخطه سبعة اجزاء كبار ملكها ابن شاكر وقال: لعل الاصل كان من حساب خمسة عشر مجلداً وكل مجلد يكون مجلدين فهذا الرجل اقل ما يكون ديوانه لو ترك جيده ورديئه في ثلثين مجلداً»[1].

وقد اكثر ذكر صناعته في شعره حتى قيل له: لولا لقبك وصناعتك لذهب نصف شعرك. وهو القائل:

يا خجلتي وصحائفي سود غدت   وصحائف الابرار في اشراق
وموبّخ لي في القيامة قائل   أكذا تكون صحائف الورّاق[2]

وكانت وفاته بالقاهرة سنة ٦٩٥/١٢٩٦.

أعراب الوراقين وظرفاؤهم

لم نجد الا اسم أعرابي واحد كان يعلم في البادية ويورق في أخضر وهو ابو مالك عمرو بن كركر[3].

ومن ظرفائهم ورّاق كان يقال له «سذاب» باسم النبات المعروف بالفيجن وله ورق كالصعتر، اجتاز به يوماً المبرّد صاحب الكامل وهو على باب داره، فقام اليه وسأله ان يسرّه بدخول منزله ومساعدته على ما حضر. فقال له المبرد ما عندك؟ فقال: يا سيدي عندي انت وعليه انا يعني اللحم المبرد فضحك منه واجابه[4].

ومن خلعاء القراء والوعاظ المتسترين بالوراقة عتيق بن محمد ابو بكر الوراق التيمي الشاعر. حكى ابن رشيق انه رآه في الجامع يقرأ الرقائق والمواعظ ويبكي تخشعاً ثم جاءه عشية ذلك اليوم في بيته فوجده في يده

١) فوات الوفيات ٢: ١٣٥ – ١٣٩
٢) خزانة الادب لابن حجة الحموي ٢٤٤ – ٢٤٥
٣) الفهرست ٦٦
٤) النهاية في التعريض والكتابة للثعالبي ٣٩

طنبور وعن يمينه غلام مليح فقال له : ما ابعد بين حالتيك في مجلسيك فقال: ذلك بيت الله وهذا بيتي اصنع في كل منهما ما يليق بصاحبه . واورد له ابن شاكر قطعاً من شعره منها قوله :

كلما اذنب ابدى وجهه حجة فهو مليّ بالحجج
كيف لا يفرط في اجرامه من بقي شاه من الذنب خرج(١

الوراقون الدلالون وجامعو الطرائف

من اشهر من كان يعرف بالورّاق دلّال الكتب سعد بن علي بن القاسم الانصاري الحظيري صاحب كتاب زينة الدهر وعصرة اهل العصر الذي جعله ذيلاً على يتيمة الدهر للثعالبي ، وله كتاب لمح الملح ، ومنه نسخة في دار الكتب المصرية ، لم نتمكن من مطالعتها لاستئثار بعض غرف الدار بها . وله ايضاً ديوان شعر لا يهتدى اليه توفي في بغداد سنة ٥٦٨/١١٧٢ ومن لطائفه :

قل لمن عاب شامة لحبيبي دون فيه دع الملامة فيه
انما الشامة التي قلت عنها فصّ فيروزج بخاتم فيه(٢

ومن الدلالين عبد الرحمن بن موسى بن عمر الناسخ ابن المناديلي ، كان حسن الخط نسخ كثيراً من الدواوين الشعرية ومات في جمادى الآخرة سنة ٧١٥ (١٣١٥م)(٣).

وكان خيران الورّاق احد الدلالين المقومين للكتب . ولما مات احمد بن ثعلب « خلف كتباً جليلة فاوصى الى علي بن محمد الكوفي احد اعيان تلاميذه وتقدم اليه في دفع كتبه الى ابي بكر احمد بن اسحاق القطربلي . فقال الزجاج للقاسم بن عبدالله (الوزير) هذه كتب جليلة فلا تفوتنك فاحضر خيران الوراق فقوّم ما يساوي عشرة دنانير بثلاثة فبلغت اقل من ثلثمئة دينار فاخذها القاسم بها(٤) » .

١) فوات الوفيات ٢ : ٣٧
٢) ارشاد الاريب ٤ : ٢٣٢ – ٢٣٣
٣) الدرر الكامنة لابن حجر ٢٤٩،٢
٤) الارشاد الاريب ٢ : ١٤٤ – ١٤٥

ومن الخزائن التي بيعت في الدلالة بابخس الاثمان تركة الطبيب الاسلمي اسعد ابن المطران • وفيها الوف كثيرة من الاجزاء الصغار بيعت في المناداة بثلاثة الاف درهم[1]. وفي ضد ذلك حكى يحيى بن عدي ان كتابين من شرح الاسكندر للسماع ولكتاب البرهان «عُرضا عليه بمئة وعشرين ديناراً قال: فمضيت لاحتال في الدنانير ثم عدت فاصبت القوم قد باعوا الشرحين في جملة كتب على رجل خراساني بثلاثة الاف دينار»[2].

ومما يحسن ذكره هنا ان ابن الخشاب المتوفى سنة ٥٦٧/١١٧١ كان اذا حضر سوق الكتب واراد شراء كتاب غافل الناس وقطع منه ورقة وقال انه مقطوع ليأخذه بثمن بخس[3].

ومن وراقي بغداد جامعي الطرائف والنوادر الوراق المعروف بالطرطوسي اهدى ابا نصر سهل بن المرزبان مجلدة بخط السري الرفا. فاستصحبها ابو نصر وانفذها الى نيسابور في جملة ما حصل عليه من طرائف الكتب[4].

ومن عُرف بالطرائفي الوراق احمد بن يوسف بن ابي الزهر الحلبي ثم الدمشقي كان له حانوت بباب جيرون مات في ربيع الآخر سنة ٧٥٣[5] (١٣٥١ م).

وراقو الوزراء والعلماء

كان لبعض الوزراء ورجال الدولة والعلماء والمصنفين والاطباء وراقون ينتمون اليهم وينسخون ما يُملون عليهم من المؤلفات والمقالات، ويتولون تحصيل ما يريدونه وتجليد ما يحتاجون اليه من الكتب والاجزاء. وكان وراق الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك والفضل بن الربيع احمد بن محمد بن

١) عيون الانباء لابن ابي اصيبعة ٢ : ١٧٨ – ١٧٩

٢) الفهرست ٣٥٤

٣) ارشاد الاريب ٤ : ٢٧٨

٤) يتيمة الدهر ١ : ٤٥٠ – ٤٥١

٥) الدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة لابن حجر، طبعة حيدر اباد.

ايوب ابا جعفر[١] ؛ ووراق الجاحظ ابا القاسم عبد الوهاب بن عيسى بن عبد الوهاب بن ابي حية[٢] . وورّق لابن عبدوس الجهشياري مؤلف تاريخ الوزراء والكتاب احمد بن احمد المعروف بابن اخي الشافعي[٣] . وكان محمد ابن ابي حاتم النحوي وراق البخاري[٤] ؛ وابو محمد ثابت بن ثابت عبد العزيز اللغوي وراق ابي عبيد[٥] . وعدّ ابن النديم اثنين من وراقي المبرد وهما اسميل بن احمد بن الزجاجي وابراهيم بن محمد الشاسي[٦] . وروى القفطي ان اسحق بن الجنيد البزّاز البصري الورّاق اللغوي كان يورّق لابن دريد ويأخذ عنه ويعرف بوراق ابن دريد[٧] . وحكى ياقوت انه كان له ايضاً وراق يدعى علي بن احمد الدريدي واليه صارت كتب ابن دريد بعد موته[٨] .

وورّق لداود بن علي بن خلف ابي سليمان الفقيه المعروف بالاصبهاني الحسينُ بن عبدالله بن شاكر ابو علي السمرقندي الورّاق؛[٩] وابو عبدالله الورّاق المعروف بجوار[١٠] . وورّق لابن حنين بن اسحق المتطبب في منقولاته لعلوم الاوائل ابو العباس محمد بن الحسن بن دينار الاحول ، ذكره ابو بكر محمد بن الحسن الزبيدي وجعله في طبقة المبرد[١١] وثعلب . وقد تقدم ذكر وراقي الفراء عرف منهم اثنان وهما سلمة وابو نصر[١٢] .

---

١) الانساب للسمعاني ٥٧٦ – ٥٨٠ ؛ وتاريخ بغداد ٤ : ٣٦٣ – ٣٦٦
٢) 〃 〃 ٥٧٦ – ٥٨٠ ؛ 〃 〃 ١١ : ٢٨ – ٢٩
٣) ارشاد الاريب ١ : ٨١
٤) تاريخ بغداد ٢ : ٧ و١٤
٥) بغية الوعاة للسيوطي ٢١٠
٦) الفهرست ٨٩
٧) انباه الرواة ١ : ١٦٦
٨) ارشاد الاريب ٥ : ٨١
٩) تاريخ بغداد ٨ : ٥٨ – ٥٩ و ٢٧٥
١٠) 〃 〃 ٨ : ٢٧٥
١١) ارشاد الاريب ٦ : ٤٨٢
١٢) تاريخ بغداد ١٤ : ١٤٩ – ١٥٠

الوراقون مؤلفو الاسمار والخرافات

كان من الوراقين قوم احترفوا الوراقة تأدباً وتكسباً سبق وصف بعضهم بالعلم والفضل والسبق في حلبتي النثر والنظم . ولكن كان همّ معظمهم ربح الورق اي الدراهم المضروبة . ولذلك اقبلوا على الاتجار بكتب الاسمار والخرافات لشدة رواجها بين الناس ، كاقبال وراقي اليوم على نشر الروايات الخيالية في الغرب «وكانت الاسمار والخرافات مرغوباً بها جداً مشتهاة في ايام الخلفاء العباسيين ولا سيما في ايام المقتدر فصنف الوراقون منها وكذبوا وكان ممن يفتعل ذلك رجل يعرف بابن دلّان واسمه احمد بن محمد بن دلان وآخر يعرف بابن عطار وجماعته ومنهم من كان يعمل الخرافات والاسمار على ألسنة الحيوان وغيره وهم سهل بن هرون وعلي بن داود والعتابي واحمد بن طاهر[1]».

وكان أكثر ما يدخل في احاديث السمر اخبار العشاق والعجائب المتطرفات عدّ ابن النديم طائفة كبيرة منها وذكر ايضاً اسماء عشاق الانس فيما زعموا للجن وعشاق الجن للانس وسرد كتبهم ، ولكنه اغفل اخبار الفرسان والابطال فلم يشر الى شيء منها ، فهل لم يُعنَ احد في زمانه بجمع اوابدها وشواردها ؟ وقد عني الفرنج انفسهم بنقل اخبار « البطّال » في ايام الحروب الصليبية ؟ ولا يخفى ما في هذه الروايات التاريخية او الخيالية من اللهو والاختلاق والتظرّف والابتداع ، وقد عدمنا بضياعها فوائد جمة من اوصاف الحياة والحضارة والاخلاق الشرقية ، فضلاً عما يتخللها من الاوضاع المولدة والالفاظ الدخيلة في لغة العصور السابقة .

ومن هذه الموضوعات الخيالية بعض الاسفار والرّحل ، وتعداد ما في البلدان النائية من الخوارق والغرائب الموهومة ، وما اشتهر فيها من خصائص الاودية والجبال ، ومزايا النباتات والاشجار ، وما زعموا في المسير اليها من الظلمات في البحار ، وما يتشعب فيها من البحيرات والانهار . وقد اشار المسعودي الى شيء من هذه الخرافات والاقاصيص فقال : زعم عمرو بن بحر

---

1) الفهرست ٤٣٨

الجاحظ ان نهر مهران الذي هو نهر السند من النيـل ويستدل على انه من النيل بوجود التماسيح فيه فلست ادري كيف وقع له هذا الدليل وذكر ذلك في كتابه المترجم بكتاب الامصار وهو كتاب في نهاية الغثاثة لان الرجل لم يسلك البحار ولا يعرف المسالك وانما كان حاطب ليل ينقل من كتب الوراقين[1].

وللخطباء والكهان نصيب وافر في هذه الاسمار، وقد شهد الجاحظ ان لكلام خالد بن صفوان كتاباً يدور في الوراقين[2].

ولم تقف همة الوراقين والمخرّفين عند هذا الحد من الاستنباط والابتداع، بل عمدوا ايضاً الى النقل والتعريب، فاستخرجوا طائفة من كتب الروم والفرس والهنود ذكرها ابن النديم وحكى ان لابن عبدوس، مؤلف كتاب اخبار الوزراء والكتّاب، كتاباً اختار فيه الف سمر من اسمار العرب والعجم والروم وغيرهم كل جزء قائم بذاته لا يعلق بغيره، واحضر المسامرين فاخذ عنهم احسن ما يعرفون ويحسنون، واختار من الكتب المصنفة في الاسمار والخرافات ما يحلو بنفسه، وكان فاضلاً فاجتمع له من ذلك اربع مئة ليلة وثمانون ليلة كل ليلة سمر تام يحتوي على خمسين ورقة واكثر، ثم عاجلته المنية قبل استيفاء ما في نفسه من تتميمه الف سمر[3]. وقد فاتتنا بفقدان هذا الكتاب فائدة مقابلته بكتاب الف ليلة وليلة، وهو نكرة من نكرات التأليف لا يعرف حظ الوراقين في جمعه واسمار من اشترك منهم في تحصيله وروايته.

وكانت الامثال تضرب قديماً في مبالغات الوراقين في دس ما لا يصدق من الاخبار والنوادر كحكايات السخاء والكرم التي اشتهرت عن البرامكة واجواد العرب، قيل: « حضر ابو العيناء يوماً مجلس بعض الوزراء فتفاوضوا حديث البرامكة وكرمهم وما كانوا عليه من الجود فقال الوزير لابي العيناء.

---

١) مروج الذهب ١ : ١٣٧

٢) البيان والتبيين ، طبعة السندوبي ٢ : ٢٣٠

٣) الفهرست ٤٢٢

وكان قد بالغ في وصفهم وما كانوا عليه من البذل والافضال : قد اكثرت من ذكرهم ووصفك اياهم وانما هذا تصنيف الوراقين وكذب المؤلفين فقال له ابو العيناء : فلِمَ لا يكذب الوراقون عليك ايها الوزير[1] ونُقل مثل هذه الحكاية عن الملك العادل ابي بكر بن ايوب قال وقد جرى ذكر البرامكة وامثالهم ممن ذكر في حكايات الاجواد: « انما هذا كذب مختلق من الورّاقين والمؤرخين يقصدون بذلك ان يحركوا همم الملوك والاكابر للسخاء والبذل وتبذير الاموال فقـال خضير (اشهر مساخر العادل وصاحب البستان المشهور قديماً عند الربوة بدمشق) ياخوند ولاي شيء ما يكذبون عليك »[2].

ويُتهم الورّاقون بدسّ بعض الاخبار في الكتب المنسوبة لاهل العلم ومحاكاة رواياتهم فيها ، ومن الكتب التاريخية الادبية المنسوبة لهم من هذا القبيل كتاب الاغاني الكبير المنسوب لاسحق بن ابرهيم الموصلي قال حماد ابنه : وضعه وراق لابي بعد وفاته ... قال ابو الفرج الاصبهاني : اخبرني جحظة انه يعرف الورّاق الذي وضعه وكان يسمى سندي بن علي وحانوته في طاق الزبل وكان يورق لاسحق فاتفق هو وشريك له على وضعه[3].

ويلحق بهذا النمط ما كان يدخله بعض الرواة والعلماء في دواوين الشعراء من الابيات والقصائد الموضوعة التي كانوا يحاكون بها الشعر القديم ويملونها على الوراقين فينسخونها ويذيعونها فتحمل عنهم في الافاق ، كحماد الراوية ، وخلف الاحمر ، وابن الكلبي ممن افسدوا الشعر الجاهلي وزادوا فيه زيادة عالم بلغات العرب واشعارهم ومذاهب الشعراء ومعانيهم ، فاختلطت اشعار القدماء بحيث لا يكاد يتميز الصحيح منها[4] وقد سبق ان الرواة كانوا بمثابة الوراقين في الخلافة العباسية.

ومشى على هذه الخطة السري الرفاء الموصلي من الشعراء الذين احترفوا

---

١) وفيات الاعيان ، طبعة باريس ، ٧٠٨

٢) نفح الطيب ١ : ٤٦٤ – ٤٦٥

٣) ارشاد الاريب ٢ : ٢٢٤

٤) « « ٤ : ١٧٩ ؛ والاغاني ٥ : ١٧٣

الوراقة لاول عهدهم، فكان ينسخ ديوان شعر كشاجم وكان بـه مغرى ويدسّ في ما كان يكتبه من احسن شعر الخالدّيين لعداوة كانت بينه وبينهما لتزيد في حجم ما ينسخه وينفق سوقه ويشنع بذلك على الخالدّيين[1].

وفي كتب التاريخ والتراجم اشارات الى بعض المختلطين الذين تعمدوا وضع الاحاديث واختلقوا آلافاً منها فاشتبه الزور منها بالصحيح وسارت عنهم بين الناس،وكان منهم بعض الوراقين الذين ألفوا مثل هذا التدليس والاختراع. ونقل عن محمد بن ابي العوجاء انه «لما امر المنصور بضرب عنقه اعترف على نفسه بوضع اربعة الآف حديث يحل فيها الحرام ويحرم فيها الحلال ويصوم الناس يوم الفطر ويفطّرهم في ايام الصيام[2]».

مذاهب الوراقين

لا نعلم الّا قليلًا من مذاهب الورّاقين ومـا ينتسبون اليه من الآراء والفِرَق في الـدين والسياسة بين سنة وشيعـة وزيديّة وخوارج ومتكلمين وشعوبية، ومن أهزل ما وقفنا عليه من اخبار الشيعة ما رواه ابن الجوزي قال:

«سنة ٣٧٧/(٩٨٧ م) توفي علي بن محمد بن نصير بن عرفة ابو الحسن الثقفي الوراق ويعرف بابن لولو ولد سنة ٢٨١ قال التنوخي: حضرت عند ابي الحسن بن لولو مع ابي الحسن البيضاوي لنقرأ عليه وكان قد ذكر له عـدد من يحضر السماع ودفعنا اليه دراهم كنا قد وافقناه عليها فرأى في جملتنـا واحدًا زائدًا على العدد الذي ذكر له فامر باخراجه فجلس الرجل في الدهليز وجعل البيضاوي يقرأ ويرفع صوته ليسمع الرجل فقال له ابن لولو يا ابا الحسين أتعاطي علي؟ وانا بغدادي باب طاقي صاحب حديث شيعي ازرق كوسج؟ ثم امر جارية ان تدق في الهاون أشناناً حتى لا يصل صوت البيضاوي بالقراءة الى الرجل»[3].

---

١) ارشاد الاريب ٤ : ٢٢٧

٢) البداية والنهاية لابن كثير ١ : ١١٣

٣) المنتظم ٧ : ١٤٠

وكان عقدة والد ابي العباس زيدياً يورق بالكوفة ويعلم القرآن والادب وانما سمي عقدة لاجل تعقيده في الصرف وكان وراقاً جيد الخط . واراد ابنه ابو العباس ان ينتقل من الموضع الذي كان فيه الى موضع آخر ، فاستأجر من يحمل كتبه وشارط الحمالين ان يدفع لكل واحد منهم دانقاً لكل كرة فوزن لهم اجورهم مئة درهم وكانت كتبه ست مئة حمل[١] .

ومن الخوارج مطر الوراق ، روى البلاذري انه كان مع العباس بن محمد ابن علي في غزاة كمخ[٢] . وفي تاريخ الموصل لابي زكريا بن اياس الازدي ان في سنة ١٤٥ (٧٦٢ م) « اتى سعيد بن دعلج الخليفة المنصور بمطر الوراق وبشير الدجال فقال المنصور لمطر : يا مطر نسيت الحرمة وطول الصحبة ? قال : نسيناهما بنسيانك كتاب الله وسنة رسوله وتضييعك امور المسلمين قال : فتخرج علي مع من لم تؤنس منه رشداً ? فهذا خلاف مذهبك قال : لو خرج عليك الذر فانه اضعف الخلق لخرجت معهم حتى اؤدي ما افترض الله علي فيك قال : يا ابن حسنة الزانية قال : انك تعلم انها خير من سلامة (ام المنصور) ولولا انه قبيح بذي الشيبة السفه لاعلمتك ما تكره ولا تطيق رده قال : خذوه قال : ان بعد موقفك هذا موقفاً وان بعد اخذتك هذه اخذة فانظر لمن تكون العاقبة . قال فجزع المنصور من قوله جزعاً شديداً ظهر فيه ثم قتله »[٣] .

وذكر المسعودي بين المتكلمين من فرق الاسلام الذين صنفوا كتباً في المقالات وغيرها من الرد على المخالفين ابا عيسى محمد بن هرون الوراق[٤] . وقال انه نقض كتاب الجاحظ المعروف بكتاب العثمانية[٥] ونقل قولاً لعمر بن عبيد في الامامة وقال : « هذا الذي حكيناه ذكره ابو عيسى محمد بن هرون الوراق

---

١) فتوح البلدان ، طبعة اوروبة ، ١ : ١٨٥

٢) تاريخ بغداد ٥ : ١٨

٣) تاريخ الموصل ، رقم ٢٦٧٥ ، دار الكتب المصرية ، مجلد مصور فيه الجزء الثاني ١٦٦

٤) التنبيه والاشراف ٣٩٥ – ٣٩٦

٥) مروج الذهب ٨ : ٨

ببغداد في كتابه المعروف بكتاب المجالس وكانت وفاة ابي عيسى بالرملة سنة سبع واربعين ومئتين (٨٦١م) وله تصنيفات كثيرة منها كتابه في المقالات في الامامة»[١] وفي تاريخ ابن كثير «كان ابو عيسى الورّاق مصاحباً لابن الراوندي قبحهما الله فلما علم الناس بامرهما طلب السلطان ابا عيسى فأودع السجن حتى مات»[٢].

ومن الشعوبيّين علّان بن حسن الورّاق واصله من الفرس وكان شاعراً متعصباً للفرس «راوية عارفاً بالانساب والمثالب والمنافرات منقطعاً الى البرامكة ينسخ في بيت الحكمة للرشيد والمأمون والبرامكة عمل كتاب الميدان في المثالب الذي هتك فيه العرب واظهر مثالبها»[٣] وبدأ منها بمثالب قريش، ولما عمل عبدالله بن طاهر قصيدته التي فخر فيها بقومه وبقتل ابيه طاهر بن الحسين الخليفة الامين وعارضه فيها محمد بن يزيد الحصني الاموي، وردّ عليها اقبح ردّ، انتصر علّان لعبدالله بن طاهر وعارض الحصني[٤]، واظهر قصيدته وكتابه في مثالب العرب، واذاعهما في مجالس بغداد دون اقلّ تهيب او تقيّة. ومثل هذه الجرأة من الشعوبيين على شتم العرب وانتقاص قريش بمسمع من قصر الخلافة ومنازل الهاشميين والطالبيين هي غريبة من غوامض ذلك العصر العباسي الذي عرفنا منه شيئاً وغابت عنا اشياء.

وكان لعلّان دكان في بغداد، بجوار باب الشام، يبيع فيه الكتب وينسخ وفيه فتى يعرف بالفيزران يورق ايضاً. ومما يدل على سريرة علان وسلاطة قلمه ولسانه انه وصف لاحمد بن ابي خالد الاحول الذي تولى الوزارة للمأمون «فاسر باحضاره وبان يستكتب له فاقام في داره فدخلها احمد بن خالد يوماً فقام له جميع من فيها غير علان الوراق فانه لم يقم له فقال احمد ما اسوأ ادب هذا الوراق وسمعه علان فقال: كيف أنسب انا الى سوء الادب ومني يُتعلم الاداب وانا معدنها ولِمَ اردت مني القيام لك ولم آتك مستميحاً لك ولا راغباً اليك ولا

١) مروج الذهب ٩ : ١٢٦
٢) البداية النهاية ١١ : ١٠٣
٣) الفهرست ١٥٣ – ١٥٤
٤) ارشاد الاريب ٥ : ٦٦ – ٦٨

طالباً منك وانما رغبت اليّ في ان آتيك فاكتب عندك فجئتك لحاجتي الى ما آخذه من الاجرة وقد كنتُ بغير هذا اولى منك ثم حلف ايماناً مؤكدة الا يكتب بعد يومه حرفاً في منزل احد من خلق الله تعالى»[1].

وفي مثل هذا الجواب الوقاح من علان انتقام لابي حيان التوحيدي من ازدراء الصاحب بن عباد بالوراقين وادّعائه انهم اخسّ من ان يقوموا لذوي الاقدار كما سبق لنا حكايته.

وكان الخلفاء والحكام يحرّمون احياناً تداول بعض المصنفات التي يخشون فتنتها او سوء اثرها في الدين وفي سنة ٢٧٩/٨٩٢ «حُلِّف الورّاقون ان لا يبيعوا كتب الكلام والجدل والفلسفة»[2] ولما قتل الحلاج «احضر الوراقون وأحلفوا ان لا يبيعوا شيئاً من كتب الحلاج ولا يشتروها»[3].

سوق الوراقين

كانت سوق الوراقين في بغداد وغيرها من البلاد «مجالس العلماء والشعراء»[4]. ومن الشقاء ان لا يكون حفظ لنا وصف مما كان يجري فيها من المناظرات والمحاضرات، ويُتبادل فيها من اطايب الاحاديث والاشعار وطرائف الاقوال والافكار.. وكان الجاحظ يكتري حوانيت الوراقين ويبيت فيها للنظر[5]، وقد تقدم ان دكان سعد الوراق في الرها كانت مجلس كل اديب يغشاها طلاب النصارى ويتردد اليها شعراء الشام ايضاً وديار مصر[6].

والى هذه السوق كان يتوجه كل راغب في نفائس الكتب ونوادر الاخبار، ولذلك اتهم محمد النوبختي ابا الفرج الاصبهاني مؤلف الاغاني بانه «اكذب الناس كان

---

١) ارشاد الاريب ٥ : ٦٦ – ٦٨

٢) الكامل لابن الاثير ٧ : ١٥٠

٣) تجارب الامم لابن مسكويه ٥ : ٨٣؛ والمنتظم لابن الجوزي ٥ : ١٤٣

٤) مناقب بغداد لابن الجوزي ٢٦

٥) الفهرست ١٦٩

٦) ارشاد الاريب ٤ : ٢٧٨

يدخل سوق الوراقين وهي عامرة والدكاكين مملوءة بالكتب فيشتري كثيرًا من الصحف ويحملها الى بيته ثم تكون كل رواياته منها »[1]. ولا يخفى ما في هذا القول من الحسد وقلة الانصاف.

وكان المتنبي يكثر زيارة سوق الوراقين ومطالعة ما يقع فيها من المحاسن المؤلفات ؛ اخبر وراق كان يجلس اليه قال : « ما رأيت احفظ من هذا الفتى ابن عبدان (المتنبي) كان اليوم عندي وقد احضر رجل كتاباً من كتب الاصمعي يكون نحو ثلاثين ورقة ليبيعه فاخذ ينظر فيه طويلاً فقال الرجل : ياهذا اريد بيعه وقد قطعتني عن ذلك فان كنت تريد حفظه من هذه المدة فبعيد . فقال ان كنت حفظته فما لي عليك ؟ قال أهب لك الكتاب قال الورّاق فاخذت الدفتر من يده فاقبل يتلوه الى آخره ثم استلبهُ فجعله في كمه وقام فعلق به صاحبه وطالبه بالثمن فقال : ما الى ذلك سبيل قد وهبته لي فمنعناه منه وقلنا له انت شرطت على نفسك هذا للغلام فتركه عليه »[2].

وهذه الحكاية ، على غرابتها ، ليست الا بعضاً مما روي من عجائب الحفظ والذاكرة ، ولا تخلو من المبالغة التي لا تكاد تتبرأ منها رواية في الشرق.

ولمثل هذه الفوائد التي كانت تُجتنى من الجلوس في حوانيت الورّاقين وشهود مناداة الدلالين قال المهلّب لبنيه : يابنيّ لا يقعدنّ احد منكم في السوق فان كنتم لا بد فاعلين فالى زرّاد او سرّاج او ورّاق[3].

---

١) تاريخ بغداد ١١ : ٣٩٦

٢) تاريخ بغداد ٤ : ١٠٣

٣) عيون الاخبار لابن قتيبة ١٢٩

تحفة القادم

لابي عبدالله بن الأبار

(مقتضب)

نشرها

الفريد البستاني

استاذ الادب العربي في معهد الدروس المغربية (تطوان)

« مؤسسة الابحاث العربية – الاسبانية » مؤسسة علمية أنشئت سنة ١٩٣٨ ومركزها الرئيسي تطوان (المغرب) . يرعاها صاحب السمو الملكي الخليفة المعظم مولاي الحسن بن المهدي العلوي وفخامة المفوض السامي الاسباني بالمغرب الليتنان جنرال ضون خوسي اريكي باريلا .

يعمل فيها نخبة ممتازة من العلماء والبحاثة والمستشرقين ويدير القسم العربي منها الاستاذ الاديب البحاثة الفريد البستاني . غايتها : تقوية الصلات الادبية والعلمية بين اسبانيا والشعوب العربية ونشر الثقافة الاندلسية والمخطوطات النفيسة وكل ما له صلة بتاريخ العرب بالاندلس من خلال الوثائق والآثار والمخطوطات . وقد قدمت هذه المؤسسة خدمات جلى للثقافة العربية بما نشرته من مخطوطات نفيسة وابحاث قيمة تاريخية وادبية واثرية ولا تزال تواصل عملها المفيد بنشاط في سبيل خدمة الثقافة العربية وتاريخ الاندلس . وهذا الاثر الذي تنشره اليوم هو من سلسلة مجموعات المؤسسة التي اعدتها للنشر في جدول اعمالها السنوي . (المشرق)

وصف المخطوطة

اسم المخطوطة : تحفة القادم (مقتضب) .

المؤلف : أبو عبدالله ، محمد بن عبدالله بن الأبار – القُضاعي البلنسي – ولد في بلنسية سنة ٥٩٥ هـ . (١١٩٨ م) .

توفي في تونس سنة ٦٥٨ هـ . (١٢٥٩ م) .

المنتخب : ابو اسحاق ابراهيم بن محمد البلفيقي .

عدد صفحات المجلد ٧٩ ، وفي كل صفحة ٢٣ سطراً .

نوع الخط : مغربي مائل الى الاندلسي ، غير واضح ، اسماء الاعلام في الصدر كتبت بخط كبير .

تنتهي المخطوطة هكذا : « انتهى ما قيده ابو اسحق ابراهيم بن محمد ابن ابراهيم البلفيقي من كتاب تحفة القادم لابي عبدالله بن الابار حسبا

اختار . ومن المنقول من خطــه : ونقلته وكمل بحمد الله تعالى وحسن عونه ، ... وكان الفراغ من نسخه لخزانة السلطــان مولانا أمير المؤمنين ناصر الــدين الباسل الضرغــام المرتضى لايالة الاسلام ابو العباس المنصور الشريف الحسني ايد الله امره واعلامه واسعد لياليه وأيامه ، في ثالث عشر جمادى الاولى عام تسعين وتسعمائة (٩٩٠) بالحضرة البيضا. فاس حرسها الله».

وفي المخطوطة ايضاً نسخة مستقلة من « زاد المسافر » لابي بحر صفوان بن ادريس المرسي المتوفى سنة ٥٩٨هـ (١٢٠١م). تبتدئ: «اما بعد الحمد لله ... فهذه جملة علقتها من اشعار المولدين ممن ادركته بعمري ولحقه اهل عصري ، ولم أتوخ التقديم فيه ولا التأخير .» اما المخطوطة التي نحن بصددها فتبتدئ :

«استنل الله عوناً على حمده الفرض ، وصوناً من الرفض ، لما يثمر مضاعف القرض. وبعد فهذا اقتضاب من بارع الاشعار ، بل يانع الازهار ، قصرته على أهل الاندلس بلدي ، وحصرته الى من سبق وفاته منهم مولدي ، ثم ألحقت بهم افراداً خقيهم شيوخ ذلك الاوان ، لاضاهي انموذج ابي علي بن رشيق في شعراء القيروان ، واضفت هؤلاء الطارئين على الجزيرة من الغرباء ، وربأتُ به عما تضمنته تصانيف السابقين من الادباء. ... ولما عارضتُ به « زاد المسافر » سميته « تحفة القادم ».

يظهر جلياً مما تقدم ان ابن الآبار اراد بتأليفــه هذا ان يجمع في كتاب ما سها عنه مؤرخو الادب الاندلسي من آثار اعلامه ، واغفله من سبقه من الادباء ومن عاصره ، ويعارض به صفوان بن ادريس المرسي صاحب « زاد المسافر » ويتحدى ابن رشيق في شعراء القيروان.

فاضاف بعمله هــذا فضلاً قيماً الى تاريخ ادباء العرب في الغرب ، وفتح باباً جديداً في دراسات تاريخ الادب الاندلسي.

ثم جاء ابو اسحاق ابراهيم البلفيقي فاختار من «التحفة» ما اختار ونسخه لخزانة سلطان المغرب المنصور الشريف الحسني ، وسماه «المقتضب من تحفة القادم» ونحن نقدمه لادباء العربية الامجاد عن نسخة مكتبة الاسكوريال ، ولا تخلو هذه النسخة من الاغلاط والهفوات والتصحيف . وقد اجتهدنا في تحقيقها ما امكن ، مع المحافظة على الاصل.

الفريد البستاني

تُحفة القادم

مقتضب من كتاب تحفة القادم

من تأليف الشيخ الفقيه الجليل المحدث الكاتب الابرع
الحافل المسند الكامل الاوحد أبي عبد الله محمد بن
عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله بن عبد الرحمن
ابن احمد بن ابي بكر بن الابّار القُضاعي
أكرمه الله تعالى بمنّـه حسبما اقتضاه
الاستعجال وترك اليه شغل البال
والله المستعان لا رب غيره

قال في الصدر : أسئل الله عوناً على حمده الفرض ، وصوناً من الرفض ، لما يثمر مضاعف القرض ، ومحمدًا صلى عليه وعلى آله وصحبه الذين اشبهوا نجوم السماء في الارض ، صلاة تدخلني في زمرة الجنّة اذا اخرج بعث النار يوم العرض .

وبعد ، فهذا اقتضاب من بارع الاشعار ، بل يانع الازهار ، قصرته على اهل الاندلس ، بلدي ، وحصرته الى من سبق وفاتـه منهم مولدي ، ثم الحقت بهم افرادًا لحقهم شيوخ ذلك الاوان ، لأضاهي انموذج أبي علي ابن رشيق في شعراء القيروان ، وأضفت هؤلاء الطارئين على الجزيرة من الغرباء ، وربأت به عما تضمنته تصانيف السابقين من الادباء . ليكون بريعانه وضيعته ابعد من خسرانه وضيعته . فجئت بجواهره لم يبتذل مصونها ، وبأزاهره لم تهتصر غصونها ، مسارعاً الى ما لهم من أبيات سائرةٍ وآيات سافرةٍ ، وشارعاً في تكميل عددهم مائة شاعر وشاعرةٍ ، وجملته باكورة ما بين يدي في هذا الفن ، والله المستعان ذو الطَّول والمن .

ولما عارضت زاد المسافر ، سميته تحفة القادم ، وحميتـه اسجاع الناثر ، اكتفاء بقوافي الناظم ، ناسياً من ذكر في ترجمته ابو بحر بن ادريس جامعه ،

وآتياً من روائع البديع ما يهتز له مبصره وسامعه ، كتشبيه لابن المعتز فاضح ، وتشبيب ازراؤه بالرضي واضح ، اعيا الاول وله السبق يوم الرهان ، وانسى الثاني ليلة الشفع وظبية البان ، الى فنون ذوات فتون من الآداب ، ساحرة للألباب ، وساخرة من الكلم اللباب . ثم قال : وهذا اوان الشروع ، في المراد بهذا المجموع فابتداء بالاول فالاول في الزمان ، وربما قدمت الاكبر بالمكان ، الا ان يعرض من النسيان ، ما هو موكل بالانسان

١ – أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن خلصة اللخمي

من أهل بلنسية . وكان بها يدرس العربية والآداب . وأقرأ وقتاً بدانية . ثم انتقل الى المرية . وهنالك توفي سنة تسع عشرة وخمسمائة ، حكى ذلك ابن الصيرفي ، وقيل سنة عشرين ، وقيل سنة احدى وعشرين .

ومن قوله في ابي العلاء بن زهر من قصيدة :

غدت عند امواه الغيوم الدوافق   تفيض بما توري زناد البوارق
أثارت جهات الشرق لما احتللته   فكاد الرجا يجلو لنا وجه شارق
وكم زفرت شوقاً بلنسية المنى   اليك ولكن رب حسناء طالق
ولو قسمت اخلاقك الغر في الدنا   لما صوحت خضر الربى والحدايق

وله يخاطبه وقد استدعى منه كتاباً :

يا وزراً تفصح الليالي   بانه سرها اللباب
ومن معانيه سافرات   والشمس من دونها نقاب
حددت لي فامتثلت امراً   ها انا بالباب والكتاب

قال : وينسب الى خلصة ايضاً الاستاذ النحوي ابو عبدالله الضرير الداني . وليس من شرطنا ، لتقدم وفاته في آخر المائة الخامسة ، ولانه ايضاً مذكور في كتاب الذخيرة لابن بسام . وابو عبدالله محمد بن يوسف ابن خلصة المعافري الشاطبي احد الرواة عن ابي عمر بن عبد البر ، وليس بمعدود بين

الادباء ، قال الشيخ : واردت بهذا الانباء والانباه ، التفرقة بينهم خيفة الاشتباه .

٢ — أبو الصَّلت أُميَّة بن عبد العزيز بن ابي الصَّلت

من أهل اشبيلية . وسكن المهديّة . واتصل بأميرها يحيى بن تميم بن المعزّ الصنهاجي ، ثم بابنه عليّ بن يحيى ، وبعده بالحسن بن علي ، آخر ملوك الصنهاجيين بها . وتوفي في صدر ولايته سنة عشرين وخمسمائة او بعدها . وقيل توفي مع ابي عبدالله المازري في سنة ست وثلاثين ، والاول اصح . ومن خبره انه خرج من اشبيلية ابن عشرين سنة ، ولزم التعلّم بمصر عشرين سنة ، ثم اوطن المهدية عشرين سنة .

حُدِّثت بهذا عن ابي عبدالله بن عبد الخالق الخطيب بها ، عن بعض من ادرك من شيوخها . وله تواليف عديدة في الطب ، وهو كان الغالب عليه ، وفي الادب والعروض والتاريخ . فمن مدائحه في يحيى بن تميم ، يصف فرساً له كان يسمى هلالًا لغرّة في جبهته هلالية الشكل

شهدتُ : لقد فاتَ الجيادَ وبذَّها ... جواده هذا من وراد ومن شقر

جواد تبدَّت بين عينيه غرّة ... تريك هلال الفطر في غرّة الشهر

كأنَّ الصباح الطلق قبَّل وجهه ... وسالت على باقيه صافيةُ الخمر

كأنك منه ، اذ جذبت عنانه ، ... على منكب الجوزاء او مفرق النسر

كأنك ، اذ ارسلته فوق لجّه ، ... تدفعها ايدي الرياح الى الحِجر

تدفقتما بحرين : جودًا وجودةً ... ومن اعجب الاشياء بحر على بحر

وله ايضاً فيه ، ويصف بعض مبانيه :

قم يا غلام ودع مخالسة الكرى ... لمهجّر يصف النوى ومغلّس

أوما رأيت النور يشرق بالندى ... والفجر ينصل من خضاب الحندس

والترب في ظلل الحديقة مرتقٍ والغصن من حلل الشبيبةِ مكتسِ
والروض يبرز في قلائد لؤلؤ والارض ترفل في غلائل سندسِ
لا تعدم الالحاظ كيف تصرفت وجنات ورد او لواحظ نرجسِ

قال الشيخ ابو عبدالله من كلام في المباني السلطانية بعضها . فمن ذلك قوله :

وضّاحة جلّت الانوار ساحتها فأزمعت رحلة عن افقها السُّدُفُ
كأنّ رأد الضحى ، مما ينازلها عن الغزالة ، هيمانٌ بها كَلِفُ
تجمّعت وهي أشتاتٌ محاسنها هذا الغدير وهذي الروضة الأُنُفُ
يضاحك النورُ فيها النَّوْرَ من كثبٍ مهما بكت للغوادي اعينٌ ذُرُفُ
خُضرٌ خمائلها زُرقٌ جداولها فالحسن مؤتلف فيها ومختلفُ
دوحٌ وظلٌّ يلذُّ العيش بينهما هذا يرفُّ كما تهوى وذا يرفُ
يجري النسيم على ارجائها دنفاً وملؤه أرجٌ يشفى به الدنِفُ
حاكَ الربيع لها من صوبه حبرًا كأنها الحلل الافواف والصحفُ
غريرةٌ من بنات الروض ناعمة يثني معاطفها في السندس الترفُ
تندى اصائلها صفرًا غلائلها كأنّ ماء نُضارٍ فوقها يكِفُ

وله في المصنع المعروف بابي فهر :

نمت صعدًا في جدة غرفاته على[عمد منها](؟)استجاد لها الجدُ
يخِلن قامات وهنّ عقائل سوى انها لا ناطقات ولا مُلدُ
قدود كساها ضافي الحسن عريها وامعن في تنعيمها النحتُ والقدُّ
تذكر جنات الخلود حدائقاً زواهر لا الزهراء منها ولا الخُلْدُ
فاسحارهُ تهدي لها الطيب منبجٌ وآصاله تهدي الصبا نحوها نجدُ
اناف على شمّ القصور فلم تزل تنهّد وجدًا من قصور وتنهدُ

سقى وَاكِفُ القطر الجزيرةَ انني   اليها ، وان جدّ الفراق ، لَوامقُ
ديارًا بها فارقت عصر شبيبتي   فيا حبّذا عصر الشباب المفارقُ
شباب شفى نفسي وودَّع مسرعاً   كما زار طيفٌ او تعوّجَ بارقُ
قضيتُ به حقّ الهوى واطعته   فايامه في عين فكري حدائقُ

وقال بالقيروان ، وقد بلغه ان ابا الفضل يوسف بن النحوي ذمّ خطّ اهل الاندلس ، من قصيدة اولها :

تنسّمْ اريجاً لم يضع من لَطائمِ   وعرّج على ربع لميّة طاسمِ
ترحلتُ عن ارضي فافضت بي النوى   لارض ذياب في ثياب ضراغمِ
فكم فيهم من عايب قمر الدجى   ومستنزر منهلّ قطر الغمائمِ
رمى معشري بالذمّ منطق يوسفٍ   وحسن الثريّا مفحمٌ كل ذائمِ
ابا الفضل لا ترتب بانك من ثمي   سليم أفاعٍ لست منها بسالمِ
اراك سفاهاً عبت خطّ معاشر   بهم تسفر الايام عن وجه باسمِ
فان يك فضلًا ما تشي يد كاتب   فكل العلا فيما تشي يد راقمِ

وله من قصيدة يردّ فيها على ابي الفضل ، وقد بلغه انه ذم ابا عمر بن عبد البر :

معتوه قَسْطَلّيةٍ ينفي رياضتنا   ومن يردْ قنَصَ العنقاء لم يصدِ
تفيضُ دون مناها نفس حاسدنا   وكيف للغور يعلو ذروة السَّندِ
تعساً ليوسف ان منّاه خاطره   لحاقنا وهل الرماض كالثمَدِ
باحث بذمّ ابن عبد البرّ قولته   ان الحسود على المحسود ذو حردِ
كم يتعب النفس فيما ليس يبلغه   والصبح يعظم عنها كل ذي لبدِ
لو حلّ ساحة قومي كان مطّرحاً   كبهرج لحظه في عين منتقدِ
دعوى العلوم تحلّاها فاشبههم   كما تشابه لفظ السعد والسعدِ

وتوفي ابوه وهو على حالة من الاغتراب والاضطراب فكتب الى اخيه مع نثر :

تبّت يد البين كم من مهجة عبثت بها وكم من فؤادٍ فهو منصدعُ
دنوُ ربعك اقصى ما اؤمّله لكن منال الذي لم يقصَ ممتنعُ

وكان ابوه ابو بكر احد شيوخ ابي الفضل عياض رحمه الله . قال : انشدني ابو جعفر بن الدلال ببلنسية عن ابي الحجاج بن الشيخ سمعه منه بمالقة عن ابي طاهر السلفي سمعه منه بالاسكندرية ، قال : انشدني الامام ابو المظفر الاسوروي لنفسه بهذان :

وقصائد تحكي الرياض اضعتها في باخلٍ ضاعت به الاحبابُ
فاذا تناشدها الرواة وابصروا الممدوح ، قالوا : ساخر كذّابُ

٤ — ابو الحسَين سليمان بن محمد السبادي

المعروف بابن الطرواة ، من اهل مالقة . امام العربية في عصره وصاحب التواليف المشهورة فيها ، فمن قوله في فقهاء مالقة :

اذا رأوا جملًا يأتي على بعد مدّوا اليه جميعاً كفَّ مقتنصِ
ان جئتهم فارغاً لزّوك في قرنٍ وان رأوا رشوة أفتوكَ بالرخصِ

وكانت وفاته في رمضان وقيل في شوال سنة ثمان وعشرين وخمسمائة .

٥ — ابو عمر احمد بن خليل الاقديّ

من أهل بلنسية . كان طبيباً اديباً شاعرًا صاحب افتنان ، ومقطعات حسان . وهو القائل :

ومذعورةٍ من حَليها قد ذعرتها بسلّةِ مطرور الغرار مهنّدِ
فما وَجدتْ للحزم الا التفاتة ترقرقها ما بين دمع واثمدِ
حكمتُ على الحاظها بعض حكمها فحسبك مني معتدٍ غير معتدِ

٦ – ابو القاسم خلف بن يوسف بن فرتون بن الأبرش النحوي

من هل شنترين . تجول في بلاد الاندلس وغيرها معلماً بالعربية . توفي بقرطبة في ذي القعدة سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة . فمن قوله ، قال الشيخ : انشدنا ابو الربيع ابن سالم قال : انشدنا ابو القاسم بن سمجون قال : انشدنا ابو العباس احمد بن ابي القاسم بن الابرش لابيه :

لقد كنتُ اخشى ان تكون بحالة فقد وقع الأمر الذي كنت احذرُ
فلقّن لساني ان لقيتك حجة فعند ارتحالي ان نسيت ساذكرُ

وله بالانشاد المذكور :

لو لم يكن ليَ آباءٌ اسود بهم ولم تثبّت كبار العُرب لي شرَفا
ولم انلْ عند ملك القصر منزلةً لكان في سيبويه الفخر لي و كفا

وزاد ابو الربيع بيتاً ثالثاً عن ابن حميد بالانشاد عن ابن الابرش كذلك؛ وانشدنيه الفقيه ابو عبدالله : انشدنيه ابو الربيع :

فكيف علمٌ ومجدٌ قد جمعتهما وكل مُختلق في مثل ذا وقفا

وبالانشاد الاول له :

رأيت ثلاثة تحكي ثلاثاً اذا ما كنت في التشبيه تنصفْ
فتاج النيل منفعة وحسناً ، ومصرٌ شنترين ، وانت يوسفْ

وما احسن قول شيخنا ابي الحسن بن حربق في هذا المعنى وانشدنيه :

اصبحت تدمير مصراً شبهاً وابو موسى يوسف

٧ – ابو بكر محمد بن ابراهيم القُرشيُّ العامريُّ

الخطيب النحوي . من أهل شلب . واصله من مدينة باجه . اوصى ان يكتب على قبره :

لئن نفذ القدَرُ السابقُ بموتي كما حكم الخالقُ
فقد ماتَ والدنا آدم ومات محمدٌ الصادقُ
ومات الملوكُ واشياعهم ولم يبقَ من جمعهم ناطقُ
فقل للذي سرّه مهلكي تأهبْ فانك بي لاحِقُ

وللناس فيما يكتبون على القبور كثير مستجاد، من ذلك قول ابي اسحق بن خفاجة:

خليليَّ هل من وقفة لتألُّم على جدثي او نظرة بترحّمِ
خليليَّ هل بعد الردى وهل بعد بطن الارض دارِ مخيّمِ
وانا، حيينا او ردينا، لإخوةٌ فمن مرَّ بي من مسلم فليسلّمِ
وماذا عليه ان يقول محييًا ألَا عِمْ صباحاً او يقول الا اسلمِ
وفاءً لاشلاءٍ كرمْنَ على البلا فماجَ عليها من رفاتٍ واعظمِ
يردد طورًا آهة الحزن عندها ويذرف طورًا دمعة المترحمِ

وقول ابي بكر عبد الرحمن بن محمد بن مناور الكاتب:

ايها الواقع اعتبارًا بقبري اسمعنْ فيه قول عَظْمٍ رَميمِ
اودعوني بطن الضريح وخافوا من ذنوب كلومها باديمِ
قلت لا تجزعوا عليَّ فاني حسن الظن بالرؤوف الرحيمِ
واتركوني بها اكتسبتُ رهيناً غلق الرهن عند مولًى كريمِ

قال المؤلف: قال انشدنيها ابو الربيع بن سالم قال: انشدنا اولاهما ابو رحّال ابن غلبون بمرسية قال: انشدنا ابو اسحاق، يعني ابن خفاجة لنفسه وذكرها، قال ابو الربيع: وانشدنا الثانية قائلها على باب داره بشاطبة

٨ – ابو العباس احمد بن محمد الصنهاجي ٤

ابن العريف الزاهد . من أهل المدينة . وليَ الحسبة ببلنسية . وقد اقرأ بسرقسطة . وبعد ذلك بعد صيته في العبادة . توفي سنة ست وثلاثين ودفن بمراكش وقيل انه سُمَّ . وله اخبار انظرها في غير هذا الموضع . وله نثر ونظم . فما ذكر قوله :

قفا وقفة بين المحصّب والحمى | نصافحْ بأجفان العيون المغانيا
ولا تنسيا ان تسألا سمر الهوى | متى باتَ من سُمر الاسنّة عاريا
فعهدي بــه والماء ينساب فوقه | سماء وماء الورد ينساب واديا
كأنَّ فؤادي في فم الليث كلما | رايت سنا برق الحمى او رآنيا
اقــام على اطلالهم ضوء بارقٍ | من الحسن لا يبقى على الارض ساليا
سلام على الاحباب تحدوه لوحة | من الشوق لم تفقد من البين حاديا

وقال :

تمَشَّى والعيون لــه سوامٍ | وفي كل النفوس اليه حاجه
وقــد مُلِئت غلائله شعاعاً | كما مُلئت من الخمر الزجاجه

وقال :

اذا نزلت بساحتــك الرزايا | فلا تجزعْ لهــا جزع الصَّبيِّ
فــان لكل نازلة عَزاء | بمــا قد كان من فقد النَّبيِّ

٩ – أبو الحكم جعفر بن يحيى

المعروف بابن غتال . من أهل دانية ، ولسلفه بها نباهة ، وهو القائل :
قــال الشيخ انشدنا ابو الحكم بن غتال ارتجالًا في غلام وسيم لسعته نحلة في شفته :

ان لسعت لعسّاءه نحلةٌ ولم تسمها رخصة في اللممْ
عذرتها اذ اخذت شهدها من شفة تشهد فيها لفمْ
لا غروَ في النحل ويُوحَى لها ان تلثم الزهر اذا ما ابتسمْ

ودخل هو وابو بكر بن مغاور وصاحب لهما من الأدباء حمام بيار من جهات شاطبة ، فصادفوا هواء باردًا فقال ابن مغاور :

شرفت بحمام البوار بيار فدخانه تمشي به الابصار

وقال الآخر :

تروم تنعماً في دفنه يغشاك قرٌّ ما عليه قرار

وقال ابو الحكم :

لو انَّ لي فيه عصا موسى على آياتها ما فرَّ عني الفار

فقال ابن مغاور : هذا على انك ابن غتّال (وهو اسم المرّ مصغرًا باللسان العجمي .)

١٠ – أبو محمد عبدالله بن محمد بن الخلف الصدفي

من أهل بلنسية . ويعرف بابن علقمة ، وابوه الكاتب ابو عبدالله ، هو صاحب تاريخها . وكتب ابو محمد هذا للقاضي ابي الحسن بن عبد العزيز . وفيه يقول ابو العباس بن العريف الزاهد :

من عجب الدهر وآياته سُكَّرة تعزى الى علقمَهْ
خيف عليها العين من طيبها فهي باضداد الكنى معلمَهْ
بيّنة المعنى الذي فطنـة لانها في اللفظ علق ومَهْ

ومن شعره يخاطب الاستاذ ابا عبدالله بن خلصة عقب ابلاله من مرض ارجف فيه بموته :

نعوذك وقـاك الله كلَّ ملمَّة ... وما هو نَعي بل مصحَّفه بغيُ
وينعْ لزهر الجسم بعـد ذبوله ... وبالضد من معناه يبدو لنا الشيُ
فهـذا صحيح الزجر بادٍ دليله ... ولله فينا الحكم والأمر والنهيُ

فجاوبه ابن خَلَصَة بابيات منها :

لئن كنت منعياً فما الموت وصمةٌ ... لقد نعيت قبلي الرسالةُ والوحيُ
ليقصرْ عدوٌّ او ليظهرْ شماتةً ... فعمَّا قريبٌ يتبـع الميْتَ الحيُ

١١ ــ ابو القاسم احمد بن محمد بن وَرْد التميمي

من اهل ألمرية . قال الشيخ : سمعت ابا الربيع الكلاعي : سمعت ابا الخطاب بن الجُميل : سمعت أبا موسى عيسى بن عُمران يعني قاضي الجماعة يقول : لم يكن بالاندلس مثـل ابي القاسم بن وَرْد ولا احاشي من الاقوام من احد . توفي سنة اربعين وخمسمائة . قال الشيخ : حدثني ابو الربيع ابن سالم بلفظه ثم بقراءتي عليه ، قال : حدثني ابو عبـدالله بن ابي عمر هو ابن عيَّاد عن ابيه قال : حدثني ابو بكر بن نجاح الواعظ قال : دخلنا على ابي القاسم بن ورد عايدين له في مرضه الذي توفي فيـه ، فسألناه عن حاله ، فاستند ثم انشدنا لنفسه :

عشر الثمانينَ وعمرٌ طويـلْ ... لم يبقَ للصحبـة الّا قليلْ
لا تحسبوني ثاويـاً بينكم ... فقد دنا الموتُ وحان الرحيلْ

١٢ ــ أبو الطاهر اسماعيل بن مسعود الخُشَنيُّ

ابن ابي رُكب من أهل جيان ، هو عم ابي ذر . قال المؤلف : انشدنا أبو الربيع عن ابي حميد : انشدنا ابو بكر بن مسعود لاخيه اسماعيل وحدثني

قال: حدثني ابو الربيع بلفظه قال: حدثني ابو الحسين بن زرقون ان اباه شيخنا رحمه الله حدثه قال: كنا يوماً بسبتة في جملة من الطلبة ومعنا ابو الطاهر اسماعيل ابن مسعود. وكان ابو الطاهر هذا اديباً شاعراً فاضلاً فمرّ بنا رجل صنع وفي يده محبرة ابنوس، وقد احتفل في عملها وتأنّق في حليتها فاراناها وقال: ان هذه المحبرة أريد ان اقصد بها الى بعض الكبراء. وارغب ان تتموا لي احتفالي فيها بان تصنعوا لي بينكم ابيات شعر ادفعها معها رجاء ان يكون ذلك انجع لغرضي منها، قال أبي: فاطرقنا نفكر في مطلبه وبدرنا ابو الطاهر فقال:

وافتك من عُدد العلى زنجيّةٌ — في حلّة من حلية تتبختر
سوداء صفراء الحُلي كانها — ليل تطرزه نجوم تزهر

فمرّ الرجل بها وسأل كتبها فكتبت له، وانفصل عنا شاكراً ما كان من اسعافه. فلم يغب عنا الّا يسيراً واذا به قد عاد الينا، وفي يده قلم نحاس مذهّب فقال لنا: وهذا مما اعددته للدفع مع هذه المحبرة وانسيت قبل ذكره لكم، فتفضلوا باكمال الصنيعة. فبدر ايضاً أبو الطاهر وقال:

حملت باصفر من نجار حُليها — تخفيه احياناً وحيناً يظهر
خرصان الّا حين يرضع ثديها — فتراه ينطق ما يشاء ويذكر

وحكي لي انّ أبا الطاهر هذا حضر مع جماعة من اصحاب فيهم ابو عبدالله ابن زرقون متنزهاً في بعض الاعوام. وفي عقب شعبان منه، فلما تماوا بالطعام قال أبو الطاهر لابن زرقون: أجز يا ابا عبد الله فقال:

حمدت لشعبان المبارك شبعة — تسهّل عندي الجوع في رمضان
كما حمد الصبّ المتيم زورةً — تحمّل فيها الهجر طول زمانَ

فقال ابو الطاهر:

دَعَوْها بشعبانيّة ولو انهم — دعوها بشبعانيّة لشعبان (كذا!)

قال: وحدثني بهذه الحكاية شيخنا أبو الربيع وانشدني الابيات لابن زرقون
قال: اكلة، مكان شبعة.

١٣ ــ ابو بكر محمد بن ولّادِ

من أهل شلطيش بغرب الاندلس. له:

نطوي سبوتاً وآحاداً وننشرها ونحن في الطيّ بين السبت والاحدِ
فعدّ ما شئت من سبتٍ ومن احدٍ حتى تصير مع المدخول في العددِ

وهذا كما قال ابو بكر بن دريد في رثاء ابي جعفر الطبري:

ما زلت تكتب في التاريخ مجتهداً حتى رأيتك في التاريخ مكتوبا

وكان لابن ولّادِ هذا حفيد صغير يتعلم في الكتاب، فتغدى معه ذات يوم، وقد خبر منه قبلًا وفطنة فسأله اجازة قوله:

اكلنا الخبز مصبوغاً بزيتٍ

فقال الصبي:

غذاءٌ نافعاً في وسط بيتٍ

ثم قال ابن ولّاد:

فلو شيء يردّ الميت حيّاً

فقال الصبي:

لكان الخبز يحيي كل ميتٍ

وله في علة طاولته:

ملّني العائدات والعوّادُ وجفاني الكرى فليلي سهادُ
قد الفت الفراش حولًا عليلًا وبكبدي من السقام كُبادُ
انّما الداء والدواء من الله وان كان للطبيب اجتهادُ

وله مما وجد بخطه بعد موته:

ارجوكَ يارب في سرٍ وفي عَلَنِ ان الرجاء اليك اليوم يحملني
مَن ذا يؤنسني في القبر منفرداً ان لم تكن انت يامولاي تؤنسني
وسوف يضحك خلٌّ قد بكى جزعاً بعدي ويسلو الذي قد كان يندبني
ذنبي عظيم ومنك العفو ذو عِظم فكيف يارب عن عفو تجنّبني
سمّيت نفسك رحماناً فقد وثقت نفسي بانك يا رحمان ترحمني

١٤ ـــ ابو اسحاق بن ابراهيم بن محمد التُّطَيلِيّ الضرير

نشأ بقرطبة وسكن اشبيلية . وكان يعرف بالتُّطَيلي الاصغر ، واشتهر بالشعر بعد ابي العباس التُّطيلي الأعمى بزمان يسير ، وهو القائل من قصيدة يذكر فيها عماه:

يثني الى وطء ما يغتاله قدَماً يهوي الى لمس ما يعدو عليه يدا
يمشي فتحسبه يقضي الصلاة خُطاً اذا استوى رافعاً من ركعة سجدا
تهوي به قدماه صولجي لعب تنزو السلام كرات عنهما بددا
مخالطٌ لبني الدنيا مفارقهم قد غابَ عنه من الاشياء ما شهدا
شمس البصيرة أعيت كوكَبَي بصري كذا سنى النجم في شمس الضحى خمدا
ان نازع الدهر في ثنتين من عددي فواحد في ضلوعي يبهر المددا
يغني عن الشهب في اجفانه مقلاً من كانت الشمس في اضلاعه خلدا
من طال خلقاً نفى عن خلقه قِصراً لا تقدر الجلد منه واقدر الجَلَدا

ومنها:

ان تجفُ حمص فتجفو غير ذي رحم تعصّباً لبنيها فيه اذ مَجُدا

وغاظها ان رأت إنجاب ومن رأى كرماً في ندّه حقدا
فان نمّتني وليدًا دار قرطبة وانكرتني وسنّي قد وفى رشدا
فعذرها ان امّ الليث ترضعه شبلًا وتمنع منه درّها اسدا

وله :

اتاك العذار على غِرّة وانت على غفلة فانتبهْ
وقد كنت تأبى زكاة الجمال فصار شجاعاً فطوّقت بهْ

وله :

ومعذّر رقّت له خمر الصبا حيث العذار حَبا بها المترقرقُ
ديباج حسن تاهَ غفلًا ناقصاً فاتمه علم الشباب المونقُ
وشكا الجمالُ مقيله في روضه فاظلّهُ آس العذار المشرقُ
عامت بماء الصقل شامةُ خدّه فغدا العذار زورقًا لا يغرقُ
ان كان يمحو نقشه من وجهه فطلى الغزال بمسكها تتغلقُ

وله من قصيدة يصف رمحاً :

واسمر يضحي في شعاع سنانه وان كان من خفق اللواء لفى ظلِ
حوى جرأة الاعراب من سمرة القنا وحاز دهاء الروم من زرقة النصلِ
علا نصله للشهب فانحطّ لدنه الى القضب عن فرع يحنّ الى الاصلِ
يقوّمه بأس الحديد الى الوغى فيعطفه لين القضيب الى الدلّ

ومنها يصف سيفاً :

وابيض يحكي الموت فعلًا ودقة فلولا شعاع الصقل لم يبدُ عن نصلِ
يذيب بنار الصقل كل مفاضة فما تقع الغربان الّا على مهلِ
وقد عجّمت دود النوائب نصله فعضّت وما ابدت سوى اثر النملِ

وله يصف قلماً :

واعجم الصوت قد القت به العربُ اقل شيءٍ لديه الشعر والخطبُ
يزهو البيان اذا ما شقّ مهوله واذ يقطُ ففي افصاحه العجبُ

١٥ — ابو عبدالله محمد بن علي بن عطيّة الكاتب (رحمه الله)

من أهل بلنسية . ويعرف بابن الشوّاش . وكان أبرع اهل عصره خطاً ، والتنافس فيما يوجد من وراقته متصل الى اليوم . وله يخاطب ابا الحسن بن الزّقاق معترضاً ومختبراً من قصيدة طويلة :

يامهدياً قطعاً زالت معانيها الفاظها زينة الاسلاك للعنق
عند امتحان الفتى تبدو حقيقته أصدق دعوى اتى ام قول مختلق
والطِّرف ليست ترى في القيد خبرته حتى يمرّ مع الفرسان في طلق
وقد بعثت بها غراء خالية تبغي جواب معانيها على نسق
فان تجاوب على ما قلتُ اقر انك معصوم من السرق

وله ايضاً :

يازائراً صدّه عن مضجعي أرَقي والصبح يفترّ ثغراً في لمى الغسق

١٦ — ابو عبدالله محمد بن شَبيه الاقليمي

من اقليم غرناطة . ويلقب بالمقرب . وهو القائل يخاطب القاضي أبا محمد ابن سِماك ، وقد حمل عليه في قضية فملّح ما شاء . افادني ذلك الحافظ ابو الربيع بن سالم وانشدنيه عن أبي جعفر بن حكم عنه :

لله حيٌ يا أميمَ حوالكِ وحمائمٌ فوق الغصون جوالكِ

غنّين حتى خلتهنّ غنينني | لغنائهنّ فنحت في مغناك
اذكرنني ما كنت قد انسيته | لقديم هذا الدهر من شكواك
اشكو الزمان الى الزمان ومن شكا | نكد الزمان الى الزمان فشاك
شكوايَ بالقاضي اليه وما أرى | في الجوّ يشكو عقرب بسماك
يابن السّماك المستقل برمحه | والعزل ترهب ذا السلاح الشاك
راع الجوار فبيننا في جوّنا | حق السُرى والسير في الافلاك
وابسط لي الخلق المشوب ببسطه | ظرف الكرام بعفة النُساك
وانا اذكّر لم يفت من لم يمت | فدراك ثم دراك ثم دراك

وضبط اسم ابيه بالشين المعجمة المفتوحة والباء المكسورة بواحدة من اسفل بعدها ياء باثنتين.

١٧ — ابو محمد محارب بن محمد بن محارب

من أهل وادي آش . له يمدح القاضي ابا الفضل عياض اثناء مقامه من اشابة :

غدا سلس القياد فما يُراضُ | وعمّ جميع لمته البياضُ
واضحى القلب لا تصبيه هند | ولا سلمى ولا الحدق المراضُ
ولا يشجيه طيب نسيم نجد | ولا تُسليه بالزهر الرياضُ
وان غنّى الحمام بغصن أيك | فمن عضّ الزمان به عِضاضُ
وقائلة أتكرع في ثماد | وقد لاحت لدن يدها الحياضُ
الى كم ذا تقول الكلّ خطب | مقالة من المّ بها المخاضُ
وتنقبض انقباض العيّ حتى | اضرّ بكَ السكون والانقباضُ
وَوَجدُ بني عياض بالمعالي | مدى الدنيا حديثٌ يستفاضُ

اذا قصدوا أثاروا الجود بحرًا وسالوا بالمكارم ثم فاضوا
فقلت لها ومن منهم عياذي فقالت ذاك سيدهم عياضُ
يقارض من أساء بحسن صبر وامر الدين والدنيا قراضُ
ففي الآداب جدول ماء مزن وفي الآراء بحر لا يخاضُ
ويبرم ما يروم فليس يخشى على امر، وابرمه، انتقاضُ
يهيم بكل معلوة وفضل كما قد هام بالعليا مضاضُ
ومن تعلق حبال بني عياض يداه فلا يضام ولا يهاضُ

وذكر من مناقب عياض ما اذكر منه متصلًا بالانشاد . فانشدنا الشيخ ابو عبد الله قال: انشدني ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد العزيز الشاطبي صاحبنا بحضرة تونس قال: انشدنا الامام تقي الدين ابو عمر بن الصلاح لنفسه في مشارق الانوار، وكان لا يغب مطالعته والاستفادة منه بعد تهوده لاسماع الحديث بالدار الاشرفيّة بدمشق:

مشارق انوار تبدّت بسبتة وذا عجبٌ كون المشارق بالغرب

وذكر الابيات التي اولها « ظلموا عياضا » ونسبها الى ابي عامر المالقي .

١٨ – ميمون الهواري

من اهل قرطبة . واحد القادمين من فقهائها ونبهائها غزاة مع الامير تميم بن يوسف بن تاشفين ، والقاضي ابو الوليد بن رشد فيهم ، ومصرف حكمهم اليه . فنزلوا بظاهرها . فلقيهم ابو محمد بن أبي جعفر هنالك . ودار بينهم في مجتمعهم ذاك ما افضى الى التفضيل بين « لا اله الا الله » وبين « الحمد لله » فغلّب ابو الوليد « الهيللة » وابو محمد « الحمدلة » . فقال ميمون هذا يخاطبه زاريًا عليه وكتب بها اليه :

أعد نظراً فيما كتبت ولا تكن بغير سهام للنضال مسارعا
فدونك تسليم العلوم لاهلها وحسبك منها ان تكون متابعا
اخلت ابن رُشد كالذين عهدتهم ومن دونه تلقى الهزبر المدافعا

فقال ابو جعفر بن وضّاح يراجعه عن ابن ابي جعفر:

لعمرك ما نبّهت مني نائماً ودونك فاسمعها اذا كنت سامعا
فلو سلمت تلك العلوم لاهلها لما كنت فيما تدعيه منازعا
ولو ضمّنا عند التناظر مجلسٌ سقيناك فيه السم لا شكّ ناقعا

١٩ – أبو زكرياء يحيى بن الجايزة

من أهل شريش. له، وقد استأذن على قاضي بلده فحجب، وقيل هو جالس مع ابي الاصبغ بن غراب الفقيه، فكتب اليه:

لعمر ابيك ما هذا صوابُ يكون وزيرك الأعلى الغرابُ
اذا نعب الغراب بدار قوم فيوشك ان يصاحبها الخرابُ

٢٠ – أبو الحسين محمد بن عُبيد الله بن الاصبَغ

القرشيّ الزرواني من أهل قرطبة. وسكن شاطبة. قال: اخبرنا به القاضي ابو سليمان بن حوط الله اذناً، قال: انشدني ابو جعفر احمد بن يوسف بن عيّاد، قال: انشد أبي قال: انشدني ابو عبد الله الشاطبي لنفسه كذا قال ابو حوط الله في نسبه، والصواب ما كتب قبل في نسبه وكنيته ومن خطّ ابن عيّاد نقلت ذلك.

تثنّت فاستراب الخيزرانُ وفاهت فاستذلّ الاقحوانُ

وابدت من تثنيها فنوناً قلوب العاشقين لها مكانُ
وقالت لا يُباءُ بنا قتيل وليس لخائفٍ عندي أمانُ
ارى رضوان ملتمساً محلّي كأنَّ الارض عاد بها الجنانُ
وقالت للغزالة حسن وجهي وثغري يجتنى منه الجمانُ
وقالت عبشميّ من قريشٍ ولا مالٌ يمين ولا زمانُ

١٢١ – أبو مروان وليد بن اساعيل بن صَبْرة الغافقيّ

من أهل دَورَقة ، عمل سرقسطة بالثغر الشرقي . وكان فارساً اديباً ذا نظم ونثر ، له بفخر ، وكان القاضي ابو حفص بن عمر معجباً بشعره :

لعمر ابيك الخير انّي لكاتب ولكن صدور الدارعين القراطسُ
اخطّ بخطّيّ واشكل بالظُبا فيقرؤهُ الامّيّ والليلُ دامسُ
لئن قالت الكتّاب انيَ كاتبٌ لقد قالت الفرسان انيَ فارسُ

قال الشيخ الفقيه ابو عبدالله : وسمعت ابا القاسم بن حسّان الكلبي بداره باشبيلية ، يحكي أن ابن صَبْرَة هذا قصد ابا القاسم بن قسي عند ثورته بقرب الاندلس ، فمرَّ في طريقه بقوم انكروه وسمع بعضهم يقول : من هذا ؟ فقال يجاوبه بديهاً :

انّي امرؤ غافقيٌّ ليس لي حسبٌ ألا أقبّ وعسّال وقصّالُ
من آل صَبْرة قدماً قد سمعت بهم شُخْبٌ اذا سئلوا اسدٌ اذا صالوا

قال : وانشدنا الحافظ أبو الربيع بن سالم وكتبته من خطه ، قال : وانشدنا ابو عبدالله محمد بن علي بن قابل قال : انشدنا وليد بن صبرة لنفسه مما يكتب في قوس :

تألفتُ من عظم وعود كأنني هلالٌ وعند النزع بدر تمامِ

في تدرك الارواح يوم كريهة ... اذا بعدت عن ذابل وحسام
وان ردّ عن روح حساماً وذابلا ... دلاص فما تسطيع ردّ سهام
كأنّ سهامي لحظ عفراء في الوغى ... وكل كميّ عروة بن حزام

وذكره «ابن سبرة» بالسين بخط ابي الربيع، ونقله عن ابن حسان بالصاد . قال : وهكذا يوجد بخطه، قال: وله ردّ على ابن غرسيّة قال : ولم اقف على تاريخ وفاته ولا على وفاة المذكورين قبله الى ابي القاسم بن ورد، فان قدمت او اخرت فمن غير قصد .

٢٢ – أبو الجدّ خزرون البربريّ

من أهل اشبيلية . له من قصيدة في يحيى بن الحاج من امراء الملثمين

هذا النسيم يهزّ من زهر الربى ... قمر الحمامة يا ان تندبا
أبكى اوارُ البرق مقلة ديمةٍ ... فاستضحكت ثغر الاقاحة أشنبا

وكتب في يوم طال الى احد الملثمين وقد مطله بما وصله به وكيل له يعرف بفلّوس :

يا مشبه اليوم الّا في تجهّمه ... أنت الملثم وجدي في المفاليس
انا العقاب تدلّت من شواهقها ... فكيف تمسك رزقي كف فلّوس

٢٣ – أبو جعفر أحمد بن ابراهيم بن سلام المعافريّ

من أهل شاطبة، خال الحافظ أبي عمر بن عات، توفي في حدود الخمسين وخمسمائة . له في الثلج :

ولم ارَ مثل الثلج في حسن منظرٍ ... تقرّ بـه عين وتشنؤه نفسُ
فنارٌ بلا نور يضيء له سنى ... وقطرٌ بلا ماء يظلله اللمسُ

واصبح ثغر الارض يفترُّ ضاحكاً فقد ذاب خوفاً ان تقبله الشمس

وله ارتجالًا في وسيم مرَّ به :

بنفسي وان منَّ الحبيب بنفسه ولم يبق بعضي للفراق على بعض
دَمى مقلتي واعتلَّ لي بجفونه وقد رنّقت في عينه سنة الغمض
وابدى له الاعراض ليثاً موردًا
فابصرت غضَّ الورد في السُّوسن الغض

٢٤ — أبو محمد عبد الله بن عُبيد الرحمن بن حجّاف المعافريُّ

من أهل بلنسية . وابوه مسمّى على التصغير ، قال : وهو والذي قبله مذكوران في التكملة. وكانت وفاة ابي محمد في صفر سنة احدى وخمسين وخمسمائة . ومن شعره ورواه ابو عمر بن عبّاد عنه :

هُنَّ البدور على الغصون الميّس طلعت فكان مغيبها في الانفس
يرفلن في حلل الحرير تأوّدًا وقد انتقبن براقعًا من سندس
واذا مررنَ اثرن ما بي من هوى يا حسنهنَّ وحسن ذلك الملبس

٢٥ — أبو بكر محمد بن عيسى بن عبد الملك بن قُزْمان

من أهل قرطبة . وهو المنفرد بالابداع في طريقة الازجال ، وتوفي سنة اربع وخمسين وخمسمائة ، ومحمد بن سعد اذ ذاك محاصر قرطبة فمن قوله :

يا رُبَّ يوم زارني فيه مَن أطلع من غرّته كوكبا
ذو شفة لمياء معسولة يَنْشع من خدّيه ماء الصبا
قلت له : هبْ لي بها قبلة ، فقال لي مبتسماً : مرحبا
فذقت شيئاً لم اذُقْ مثله ، لله ما احلى وما اعذبا

اسعدني الله باسعاده يا شقوتي ! يا شقوتي ! لو أبى

وله :

كثير المال تبذله فيبقى وقد يبقى من الذكر القليل
ومَن غرست يداه ثمار جود ففي ظلّ الثناء له مقيلُ

وله :

وعهدي بالشباب وحسن قدي حكى الف ابن مقلة في الكتابِ
فصرت اليوم منحنياً كأني افتش في التراب عَلى شبابي

وله :

يمسك الفارس رمحاً بيدٍ وانا امسك فيها قصَبَهْ
فكلانا بطلٌ في حربه إنَّ الاقلام رماح الكَتَبَهْ

وذُكِرَ له « خليليّ ما لي بالتجلد حيلة » (الابيات المشهورة)

٢٦ – أبو العباس احمد بن حسن بن سيّد الجراويّ (الاستاذ)

من أهل مالقة ، وليس بالقبي . وكلاهما اقرأ الأدب والعربية . وتقدمت وفاة المالقي منهما . وقد ذكرتها في التكملة ومن قوله :

وبين ضلوعي للصبابة لوعةٌ بحكم الهوى تقضي عليّ ولا اقضي
جنى ناظري منها على القلب ما جنى فيا مَن رأى بعضاً يعين على بعضِ

٢٧ – أبو بكر بن سَكَن

من أهل شِلب . لم اقف على اسمه . له من قصيدة يمدح :

اخجلتَ الشمس لدى الحملِ وسمت قدماك عـلى زُحَلِ

وكشفت الشهب بنيّرة من شهب ظبى بذرى الاسل

ومنها :

سجدت في الارض رؤوسهم بظبا الاسياف على عجل
لزموا تقبيل الاثلب اذ اخلوا يمناك من القبل
كحلت بمراود سمركم حدق الماذيّة كالمقل
وجنت راحات بنودكم لحفيظتكم ثمر القلل

قال ولا احسن اشارةً ، ولا أبين عبارة ، لمن أراد الكلام على هذه العروض من قول شيخنا ابي الحسن علي بن محمد بن حريق في قصيدة فريدة انشدنيها وقرأتها عليه ، وكان ممدوحه بها قد قال له ، لما علم انّه ما استعمل في ذلك مقوله :

خذ في الاشعار على الخبب فقصورك عنه من العجب
هذا وبنو الآداب قضوا لك بالعلياء من الرتب

وله :

أبعدَ الشيب هوى وصبا كلّا لا لهوًا ولا لعبًا
ذرّت الستون برادتها في مسك عذارك فاشهبا

ومنها :

فخذي في شكر الكبرة ما جاء الاصباحُ وما ذهبا
فيها احرزتِ معارف ما ابليتِ لجدته الحقبا
والخمر اذا عتقت وصفت أغلى ثمناً منها عنبا
وبغية عمر المرء له ان كان بها صباً دربا
يبني فيها باناته ما هدّمه ايام صَبا
وينبه عين تقى هجعت ويعمّر بيت حجىً خربا

ويخبّر فيها الشعر على وزن هزج يُدعى الخَبَبا
وحشٍ في العرب منان له مجهول الاصل اذا نُسبا
سهل التقطيع ولكن لم يُنطق باريك به العَرَبا
نكرته فلم يضرب وتدًا في الحي ولم يمدد سببًا

.وقال المؤلف من قصيدة يمدح الامير ابا زكريا :

قامت بالحق خلافته يتقلّده ويقلّدهُ
واتى والدين الى تلفٍ فتلافى الدين يجدّدهُ
ما اوقده العدوان غدا يطفيه العدلُ ويخمدهُ
وكأنّ عداه وصارمه ليلٌ والصبح يبدّدهُ
قبضت ايدي الكفار به لمّا بُسطت فيهم يدهُ

ولابن سَكن في حبّ الملوك ، واحسن ما شاء :

ودوحٍ تهدّل اغصانه رعى الطرف من حسنه ما اشتهى
فما احمرّ منه فصوص العقيق وما اسود منه عيون المهى

وكان بمجلس انس على نهر شلب بالجسر . وتعرضت احدى الجواري لجواز الجسر ، فلما بصرت به سترت ما ظهر من محاسن وجهها فقال :

وعقيلةٍ لاحت بشاطئ نهرها كالشمس طالعة لدى آفاقها
فكأنها بلقيسُ وافت صرحها لو انها كشفت لنا عن ساقها

ثم لقي ابا بكر بن المنخل فانشده البيتين . فقال :

ما ضرّها وهي الجمال باسره لو انها زُفّت الى عُشاقها

٢٨ – أبو الوليد اسماعيل بن عمر الأستاذ

(المعروف بابن الشوّاش) من أهل شلب ، وفي طبقة ابي بكر بن المنخّل وابي عمر بن حرفون . له في بيعة الامير بمراكش سنة سبع واربعين وخمسمائة

اهاب به داعي الحياة مثوّبا   فبادره واستنجد الريح مركبا
وازمعَ يقتاد الهوى في مراده   وينحو السحاب الخير حيث تسحبا
بحيث غمام السعد ينشأ حافلًا   فيهمل دفّاقاً وينهلّ صيّبا
وتنبعث الانوار من مطلع الرضى   فتوضح للحيران نهجاً ومذهبا

وكان ابو الوليد هذا في القادمين من أهل بلده على سلا مهنين بالبيعة المنعقدة ليلة العاشر من جمدى الاخيرة سنة ثمان وخمسين وخمسمائة .

٢٩ – أبو العبّاس أحمد بن عبد الرحمان بن الصفر الانصاري

اصله من سرقسطة ، وخرج منها ابوه عبد الرحمن فسكن ببلنسية ثم انتقل الى ألمريّة وبها ولد ابنه ابو العباس . وكان من اكابر الطلبة ، وولّي القضاء باشبيلية ، وتوفي بمراكش في جمادى الاولى سنة تسع وستين وخمسمائة . وهو القائل :

لله اخوانٌ تنـاءت دارُهم   حفظوا الوداد على النّوى او خانوا
يهدي لنا طيبَ الثناء ودادُهم   كالنّدّ يهدي الطيب وهو دخانُ

وله :

أرضِ العدوّ بظاهرٍ متصنعٍ   ان كنت مضطرًا الى استرضائهِ
كم من فتىً القى بوجه باسم   وجوانحي تنقدُ من بغضائهِ

٣٠ – أبو محمد عبد الله بن محمد بن ابي رَوْح

من أهل الجزيرة الخضراء . ورحل عنها الى المشرق في سنة سبعين وخمسمائة او نحوها ولم يعد اليها . فقال يتشوقها ، انشدني ذلك له الاستاذ أبو عبدالله بن هِشام وغيره :

اعلّل يا خضراء نفسيَ بالمُنى وأقنعُ ان هبّت رياحك بالشمّ
اذا غبت عن عيني يغيب منامها وكيف ينامُ الليل ذو الوجد والهمّ
تذكّرت من فيها ففاضت مدامعي فلله من فيها من الخال والعمّ
احنُّ الى الخضراء في كلّ موطن حنين مشوقٍ للعناق وللضمّ
وما ذاك الّا انّ جسمي رضيعها ولا بدّ من شوق الرضيع الى الامّ

وله :

اذا بلغت الحمى اووادي العسل فقف قليلًا به يا حاديَ الابل
وقل لقاتلتي ظلماً بلا قَوَدٍ هلّا رحمتِ قتيل الأعين النجل

وفي هذا الوادي يقول الرُّصافيُّ :

كم بين شطّيكَ من ريٍّ لجانحة ذابت عليك صدى ياواديَ العسل
وما دعاها الى وادٍ سواك ظمأ الّا تبلّين فيها فترة الكسل

٣١ – أبو الحسن علي بن ابراهيم بن سعد الخير الانصاري

الاستاذ ، من اهل بلنسية . وكان على تقدمه في العربية ، وتفننه في الاداب منسوباً ، الى غفلة تغلب عليه . وله رسائل بديعة وتواليف منها كتاب الخلل في شرح الجمل ، ابتداه من حيث انتهى البطليوسيُّ ، وكتاب جذوة البيان وجريدة العقيان ، وكتاب القرط ، وغير ذلك . وتوفي باشبيلية في اوائل ربيع الاخير سنة احدى وسبعين وخمسمائة . قال : ومن شعره ونقلته من خطه :

الا سائل الركبان هل طَلّ لعلعٌ كما كان مطلول الاصائل سَجْسَجا
وهل وردوا ماء العذيب مناهلا اذا صافحت كفُّ النسيم تأرَّجا
وعن مَرَجات الحي مالي ومالها تجدّد لي شوقاً اذا الركب عرّجا
وعن اثلات الجزع هل مال ظلّها وهل تخذت ريح الصبا فيه مدرَجا
لئن ظمئت نفسي اليها فطال ما وردت بمغناهنّ اشنب افلجا
بحيث يشقّ الستر عن ماء مبسم ارى باب صبري عنه ابهم مرتجا
ركبت الهوى عُزيَّ السراة وربّما ركبت الى الهيجاء ادهم مسرجا
فيا ربّ يوم قد صليت بجمره تراه بنار المرهفات مؤجّجا
غدوت وجفن الشمس بالنور ازرق فغادرته بالنقع أرمد أدعجا
سقيت العوالي بالنجيع فنوّرت بهاراً يرى عند الطعان بنفسجا

وله:

بأبي من بني الملوك غرير قد ترديت فيه برد التصابي
ضاعفت حسنه ضفيرة شعر هي منه طراز بُرد الشباب
تتلوّى على الرداء مراحاً كحباب ينساب فوق حباب

وله في هذا، وقد لبس ثوباً احمر وبعينيه رمد:

ومهفهف يجري بصفحة خدّه والماء من ماء الحياة عُبابُهُ
ما زال يهدي باللحاظ قلوبنا حتى تضرّج طرفه وثيابُهُ
فبدا بحمرة ذا وحمرة هذه كالسيف يدمي حدّه وقرابُهُ

وله في سحابة:

وساريةٍ سحبت ذيلها وهزّت على الافق اعطافها
تسلّ البروق بارجائها كما سلت الزنج أسيافها

وله في رمانة مفتحة ، وانشدنيه له صاحب الاحكام ابو الحسن بن ابي الفتح :

وساكنة من ظلال الغصون بخدر تروقك أفنانه
تضاحك اترابها فيه لمّا غدا الجو تدمع اجفانه
كما فتح الليث فاه وقد تضرّج بالدم اسنانه

وله في حفلة :

ومخضرّة الارجاء قد طلّها النّدى وقابلها انفُ الصبا بتنفس
تبدّت بها الغربان سطرًا كما بدتْ ضفيرة شعر فوق بردة سندس

قال: وانشدنا له القاضي ابو الخطاب ، وللأستاذ في الحساب والفرائض ابو عبدالله بن نعمان البكري عنه يصف دولاباً :

لله دولاب يفيض بسلسل في روضة قد اينعت أفنانا
قد طارحته بها الحمائم شجوها فيجيبها ويرجّع الألحانا
فكأنه دنفٌ يدور بمعهد يبكي ويسأل فيه عمّن بانا
ضاقت مجاري طرفه عن دمعه فتفتحت اضلاعه أجفانا

٣٢ – أبو الحكم ابراهيم بن علي بن هَرَوْدَس الانصاريّ

الكاتب . من أهل حصن مرشانة عمل المرّية . وسكن مالقه . وتوفي بمراكش في الطاعون الواقع بها سنة اثنين وسبعين وخمسمائة . واخبرنا ابو القاسم ابن بقيّ قال : انشدنا الكاتب ابو الحكم بن هرودس لنفسه :

أإبراهيم ان الموت آتٍ وانت من الغواية في سُبات
رجاؤك مثل ظلّ الرمح طولًا وعمرك مثل ابهام القطاة

٣٣ – أبو الحسن علي بن زيد النجار الكاتب

من أهل اشبيلية . كتب للسلطان بعد وفاة ابي الحسن عبد الملك بن عيّاش سنة ثان وستين وخمسمائة . وعاجلته منيته فتوفي بمراكش في الطاعون وفي صفر من سنة اثنتين وسبعين المذكورة قبل ، ومن قوله يرثي :

أما تشتفي منا صروف زماني وهلّا كفى الايام انّي فاني
وحسب المنايا ان خلعت شبيبتي ولولا حذاريها خلعت عناني
فغيّضت امواه الدموع بمقلتي واخمدت نيران الجوى بجناني
ونزّهت عن سمع الكران مسامعي وقدست عن بنت الدّنان بناني
فاشرق عذري للنهى فعذرنني واظلم في عين الصبا فلحاني
ولم تقنع الايام حتى رمينني بعرض شمام او بركن ابان
فطار فؤاد البرق يحكي جوانحي وارسل عينيه الحيا فبكاني

ومنها :

بدا لي انّ الدهرَ ليس مصرّداً كؤوس الرّدى ويشرب الملوان
وابصرت ما بين المصارع مصرعي سريعاً رماني الدهر او متوان

٣٤ – أبو عبد الله محمد بن غالب الرُّصافيُّ

من رُصافة بلنسية . وسكن مالقة . وكان شاعر عصره مع النزاهة عن الانتجاع بشعره ، واقتصر على التعيّش من صناعة ، وامداحه قليلة . وكان في قصائده كثيراً ما يذكر شوقه الى معاهده ، فيأتي بما يعجب ويعجز ، وعرف بعزوف النفس فصار الاكابر يجزلون منحه ويخطبون مدحه وهو بصناعته مشتغل ، الى ان توفي بمالقة في رمضان سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة . فمن قوله في قصيدة يراجع ابا الحسن بن لبّال الشريشي بها :

على انني لا ارتضي الشعر خطةً ولو صيرت خضرا مسارحي الغبرا
كفى ضعةً بالشعر ان لستُ جالباً اليَّ بـه نفعاً ولا دافعاً ضرّا
يقول اناس لو رفعت قصيدةً لادركت حتماً في الزمان بها أمرا
ومن دون هذا غيرةٌ جاهليةٌ وانْ هي لم تلزَمْ فقد تلزمُ الحرّا
الم يأتهم اني وأذت بحكمها بُنيَّات صدري قبل ان يبترحَ الصدرا

وله :

لا تسل بعد يوسف عنّي ففؤادي مثلَّمٌ كسلاحه
لو تأملت مقلتي يوم اودى خلتني باكياً ببعض جراحه

ومن قوله في نائم تحبّب العرق على وجهه:

ومهفهف كالغصن الّا انه سلب التثنّي النومُ عن اثنائه
اضحى ينام وقد تحبّب خدّه عرقاً فقلت الورد رُشَّ بمائه

وقال وهي فيه:

وعشيّة لبستْ رداءً شحوبها والجوُّ بالغيم الرقيق مقنّعُ
بلغت بنا أمدَ السرور تآلفاً والليل نحوَ فراقنا يتطلّعُ
فابلل بها رمق الغبوق فقد اتى من دون قرص الشمس ما يتوقّعُ
سقطت ولو علمك نديمك ردَّها فوددت يا موسى لو انك يوشعُ

وله قصيدة يصف نهراً نضب ماؤه:

فتوالت الاحال تنقصه حتى غدا كذؤابة النجمِ

وله يصف نهراً ألقت عليه ظلها دوحةٌ :

ومُهدَّل الشطّين تحسب انه متسيّل من درّة لصفائه

فاتَ عليه مَعَ العشيّة سرحةٌ   صدئت لفيئتها صفيحةُ مائهِ
فتراه أزرق في غلالة شمرة   كالدّارع استلقى بظلّ لوائهِ

قال المؤلف رحمه الله: كثر التّولّع بهذه الابيات عام احد واربعين وستمائة. فانشدني في ذلك لنفسه الخطيب ابو القاسم ابن معاوية اليحصبي صاحبنا واسمه كنيته ويكنى ابا الفضل:

ويوم عكفنا طوله نجتني المنى   باعذب نهر في ألذّ نهارِ
لدى ربوة غنّاء طيّبة الثرى   وذات معين سائح وقرارِ
على رفرف خضر بسطن لدوحه   وردين من امثالها بازارِ
فجدوله في سرحة الماء منصل   ولكنه في الجزع عطف سوارِ
وامواجه ارداف غير مواكم   تلفّعن بالآصال ريط نضارِ
اذا قابلته الشمس اذكاه نورها   فبدّل منه الماء جذوة نارِ
تفيء عليه الدوح ظلّا مضاعفاً   فيرجع منها بدره لسرارِ
كأنّ مكان الظّل صفحة وجنة   اطلّت عليها خضرة لعذارِ
اوالبكر حاذت بالسجنجل خدّها   وقد سترت من بعضه بخمارِ

وقال المؤلف وانشدناه:

ونهر كما ذابت سبائك فضّة   حكى بمحانيه انعطاف الاراقمِ
اذا الشفق استولى عليه احمراره   تبدّى خضيباً مثل دامي الصوارمِ
وتحسبه سنّت عليه مفاضة   لان هاب هبات الرياح النواسمِ
وتطلعه في دكنة بعد زرقة   ظلال لادواح عليه نواعمِ
كما انفجر الفجر المطلّ على الدجى   ومن دونه في الافق سُحْمُ الغمائمِ

وقال ايضاً وانشدناه:

سقياً لروض ردته رأدَ الضحى   وحمامه طرباً يناغي البلبلا

شتى محاسنه فمن زهر على نهر تسلسل كالحباب تسلسلا
وكأنما حمي الربيع لقطفه فاستل منه يذود عنه منصلا
غربت به شمس الظهيرة لا تني احراق صفحته لهيباً مشعلا
حتى كساه الدوح من افيائه بردًا يمزق بالاصائل هلهلا
فكأنما لمع الظلال بمتنه قطع الدماء جمدن حين تحللا

٣٥ — أبو زيد عبد الرحمن السالمي

من أهل استجة ذكر له :

تسليت عن عيسى بحب محمدِ ولولا هدى الرحمن ما كنت اهتدي
وما عن منى قلبي سلوت وانما شريعة عيسى عطلت بمحمدِ

وهي عندي متصلة بالانشاد الى القائل من طريق الطيلسان

٣٦ — أبو جعفر عبدالله بن محمد بن جرج الكاتب

من اهل قرطبة ، ومن بيوتاتها النبيهة ، اصلهم من البيرة . وكانت وفاة ابي جعفر هذا سنة خمس وسبعين وخمسمائة ذكر له :

اما ذكاء فلم تصفر إذ جنحت

وهي عندنا منشدة ، عزا الطيلسان (الابيات الثلاثة) قال : وقد نسبت الى ابن القاسم الخيل بن ادريس الرندي كاتب ابن حمدين ولم يصح . قال واهتدم البيت الاول منها أبو عبدالله بن مرج الكحل فجاء به في آخر قطعة من حر كلامه انشدناها مرارًا وهي :

عرج بمنعرج الكثيب الاعفرِ بين الفرات وبين شط الكوثرِ
ولتغتبقها قهوة ذهبية من راحتي احوى المدامع احورِ

وعشيّة كم بتُّ ارقب وقتها سمحت بها الايام بعد تعذر
نلنا بها آمالنا في روضة مهدى لنا نسيم العنبر
والدهر من ندم يسفّه رأيه فيما صفا منه بغير تكدر
والورق تشدو والاراكة تنثني والشمس ترفل في قميص أصفر
والروض بين مذهّب ومفضّض والزهر بين مدرهم ومدنر
والنهر مرقوم الاباطح والربى بمصندل من زهره ومعصفر
فكأنه وجهاته محفوفة بالآس والنعمان خدّ معذّر
وكأنه وكأنّ خضرة شطّه سيف يُسلّ على بساط اخضر
وكأنما ذاك الحباب فرنده . مهما طفا في صفحة كالجوهر
نهر يهيم بحسنه مَن لم يَهِمْ ويجيد فيه الشعر من لم يشعر
ما اصفرّ وجه الشمس عندغروبها الا لفرقة حسن ذاك المنظر

٣٧ – أبو الاصبغ عيسى بن محمد العَبْدَري

المعروف بابن الواعظ من المريّة . سكن ألش من اعمال مُرسية . قال : وانشدني ابو الربيع ابن سالم : قال انشدني ابو القاسم ابن الحذا المرسى ، قال : انشدني ابو الاصبغ عيسى بن محمد بن عبدالله بن الواعظ العبدري لنفسه في سكناه بألش وكان اصله من المغربية :

عدمت باخمالي وجوهًا من الانس فها انا في الايام مستوحش النفس
بريت زماناً من حوادث امرضت وألشُ لعمري اسلمتني الى النكس
اقمت بها كالسيف لازم جَفنَه وان كنت حيًّا مثل مَن دسّ في رَمْس
فاني بآدابي أتيت جزيرةً فعوقبت منها بالاقامة في حَبْس
وهل وحشة الانسان الّا بمثلها فصيح لسان بين ألسنة خُرس

شروني رخيصاً ليس يدرون قيمتي وقد تشترى الاعلاق بالثمن البخس

ومن شعره مما ذكره عنه ابو عبدالله بن عياد في مشيخة ابيه ابي عمر :

ان قيل في الصيف ريحان وفاكهة فالارض مقبرة والجوّ مخرورُ
وان يكن في الخريف النخل مخترفاً فالارض مربدة والجوّ مأسورُ
وان يكن في الشتاء الغيث منسكباً فالارض مبتلة والجوّ مقرورُ
ما الدهر الا الربيع المستنير اذا اتى الربيع اتاك النَّورُ والنورُ
الارضُ سندسةٌ والجو لؤلؤةٌ والنور فيروزج والماء بلّورُ
من شمّ ريح تحيّات الرياض يقل لاالمسكُ مسكٌ ولا الكافورُ كافورُ

وكتب ابو بكر ملك بن جمير من اهل اريولة الى ابي الاصبغ هذا :

رحلت وانني من غير زادِ وما قدّمت شيئاً للمعادِ
ولكنّي وثقت بجود ربّي وهل يشقى المقلّ مع الجوادِ

فقال في معناه :

رحلت بغير زاد للمعادِ ولكنّي نزلت على جوادِ
ومن يرحل الى مولى كريم فما يحتاج في سفر لزادِ

قال : ولابن شرف في هذا المعنى ، وانشدناه ابو الربيع عن ابن عبيدالله :

رحلت وكنت ما اعددت زادًا ولا قصّرتُ في قوت المقيمِ
فها انا ذا رحلتُ بغير زادِ ولكنّي نزلت على كريمِ

وذكر ابيات المتصفي في هذا المعنى :

قالت ليَ النفسُ اتاك الردى وانت في بحر الخطايا مقيم
وما دخرت الزاد . قلتُ : اقصري هَل يحمل الزاد لدار الكريم
وَاخجلتي منه اذا جئته والعبد مطلوب بدين قديم

وما ارى يطلبني قد درى انيَ محتاج اليه عديمْ
ولست محتاجاً الى شاهدٍ لان مولايَ بحالي عليمْ
وحكمه القاسط لا يقتضي هلاكَ مديانٍ بمال الغريمْ

هي من آخر كلامه متصلة بشهد حمامه . وقد نظم الرئيس ، رحمه الله ، صاحب منورقة ابو عثمان سعيد بن حكم القرشي في هذا المعنى :

يا ربّ انّي راحل والزاد ما منه عندي للرحيل عتادُ
والوقت عنه ضيقٌ ولديك ما يسع الورى طرًّا وأنت جوادُ

وله ايضاً :

حان قدومي على القديمِ ويحسن الظنُّ بالكريمِ
ان كان ذنبي عظيماً اضحى فاين منه عفوُ العظيمِ
حسبي اني ارجو لديه فضل غنيَ على عديمِ

افسد في صدر البيت الثاني والثالث من حيث الوزن وقد وقع فيه جمهور من الشعراء . قال ابن عياد من شعره ما كتبه لابي بخطه ونقلته منه :

لا تصحَب السلطان في حالةٍ صاحبه ليث الشرى يركَبُ
يهابهُ الناس لمركوبه وهو لما يركَبُهُ أهيَبُ

٣٨ – أبو محمد عبد الله بن ابي بكر محمد بن ابراهيم بن المنخَّل

من أهل شِلب . فمن قوله يمدح :

شرفُ الخلافة ان ملكت زمامَها وغدوتَ من عقب الإمام أمامَها
وافتْكَ تبتدرُ الرضا اذ رمتها ولشدَّ ما امتنعت على من رامها
طبعَ الاله لها حساماً صارماً يحمي جوانبها فكنت حُسامَها
فعلى رماحك ان تشقّ جيوبها وعلى سيوفك ان تفلّق هامَها

وله مسلية عن عزيمة :

لا تكترث يا ابن الخليفة منذر أتيح فما يردُّ متاحُه
قد يكدر الماء القراح لعلّة ويعود صفواً بعد ذاك قراحُهُ

٣٩ – أبو بكر محمد بن ابي بكر بن فرج بن سليمان

من أهل جيان . ويعرف بابن زِنّة ، بنونين الاولى مكسورة والثانية مشددة مفتوحة . له في اسود بقلنسوة حمراء :

واسود غربيب على انّ راسه به كُمّة كالبارق المتألّقِ
نظرت اليها من بعيد كأنها بقيّةُ نارٍ فوق جذع محرّقِ

٤٠ ــ أبو محمد عبد الله بن يحيى الحَضْرَمي

الاستاذ . ابن صاحب الصلاة ، ويعرف بعبدون من اهل دانية . وسكن شاطبة ، وتوفي ببلنسية ، مستهل رجب سنة ثمان وسبعين وخمسمائة . فمن قوله في بغلة كبت بابن سعد المذكور :

ان تكبُ في السير بنت العَير بالملكِ فليس يدركها في ذاك من دركِ
عذر الملومة فيها انها حملت ما ليس يحمل غير الارض والفلكِ
الدهرُ والبحرُ والطَّودُ الاشمّ ذرى والبدر بدر الدجى والشمس في الملكِ

قال : هذا مأخوذ من قول ابن المعتزّ في رئيس سقط عن بغل :

لا ذنب عندي لابن العَير يوم وَهَت قواه من خَوَرٍ فيها ومن لينِ
حمّلتموهُ سوى ما كان يحمله فرد البغال واصناف البراذينِ
الشمس والبدر والطود المنيف وليث الغاب والبحر والدنيا مع الدينِ

والشعراء في هذا ابيات نادرة وهو من تحسين القبيح ، منها قول ابي بكر ابن مجبر :

لا ذنب للطّرف ان زلّت قوائمُهُ وهضبة الحلم ابراهيم يجريها
وكيف يحمله طِرفٌ، وخَرْدَلةٌ من حلمه ترن الدنيا وما فيها

ولعبدون في رحلته عن شاطبة الى بلنسية ، وكان الرئيس ابو الحجاج يوسف بن سعد هو الذي نقله منها ، واستأدبه لبنيه ؛ لما كان عليه من التصاون والعدالة واباح له الإقراء ، فكان يعلمهم العربية بالقصر ، فاذا انفصل عنهم علّم الناس ايضاً بمسجد رحبة القاضي من بلنسية ، الى ان توفي في التاريخ المتقدم ذكره :

سارحل عن دار نَبتْ بي ولم يقم بها احد في حين اقعدني الدهرُ
ففي الناس صحب ان جفاني صاحب وفي الارض قطر حامل ان نبا قطرُ
الم ترَ ان الماء بالجري ازرق وبالمكث في مستنقع القاع مصفرُ
ورحلة اهل الفضل عن اهل بلدة شهيد بنقص فيهم ولها خسرُ
وشرُّ بلاد الله ما لم يكن بها معين على ان يستقرّ به الحُرُ

وقال :

وعجّل شيبي ان ذا الفضل مُبتلى بدهرٍ غدا ذو النقص فيه مؤملا
ومن نكد الدنيا على الحُرِّ ان يرى بها الحرّ يشقى واللئيم مُمولا
متى ينعم المفترّ عيناً اذا اعتفى جواداً مُقلّا او غنياً مُبخلا

٤١ – ابو بكر محمد بن عبد الغني الفهريُّ

المعروف بابن الجنان ، من أهل جيار . وسكن مدينة فاس . له :

قالوا المشيب نجوم والشباب دُجىً لو يحسن القبح او لو يقبح الحسنُ
ما كان اغناك بالليل الذوائب عن نجوم شيبك ذي لو انصف الزمنُ

٤٢ – أبو الحكم عُبَيدالله بن علي بن غلنده الكاتب

من أهل سرقسطة . وسكن اشبيلية . وتوفي بمراكش سنة احدى وثمانين وخمسمائة ، وقد اسنّ . وكان يشارك في فنون من الطب والادب والاتقان لكل ما يحاول . وهو القائل :

يا خير من علق الفؤاد بحبّهِ وأجلّ من يسمو اليه الناظرُ
عجباً لانك ملء عينك نائم وانا كما يختار صدّك ساهرُ

وقال وهو من لزومياته :

تكثّر من الاخوان للظهر عدة فكثرة درّ العقد من شرف العِقد
وعظّمْ صغير القوم وابدأ لحقّهِ فمن خنصري كفيك تبدأ بالعَقد

٤٣ – أبو بكر محمد بن عبد الملك بن طفيل القيسي

من أهل برشانة ، عمل المريّة . وكان طبيباً اديباً . وكتب لوالي غرناطة وقتاً . وتوفي بمراكش سنة احدى وثمانين وخمسمائة ، وحضر السلطان جنازته . ومن كلامه :

اتذكر اذ مسحت [لديك] دمعي وقد حلّ البكا فيها عُقُودَهْ
ذكرت بان ريقك ماء وَرْد فقابلت الحرارةَ بالبرودهْ

وقال :

يقولون لي ظمياء اضحت عليلةً فقلت فما بالي بقيت اذا حيّاً
اتصبح شمسُ الارض كاسفة السنا ولا يعتري جسمي
اذا ما طوى عني السقامُ وصالها طوى الموت روحي في ملاءته طيّاً

وقال :

ألمّت وقد نام الرقيب وهوّما واسرت الى وادي العقيق من الحمى

وراحت الى نجد فراح منجدًا ومرّت بنعمان فاضحى منعمًا
وجرّت على ترب المحصّب ذيلها فما زال ذاك الترب نهباً مقسّما
تناقله ايدي الرجال لطيّة ويحمله الداريّ أيّان يمّما
ولما رأت ان لا ظلام يجنّها وان سراها فيه لن يتكتّما
سرت عذبات الرّيط عن حرّ وجهها فأبدت شعاعاً يرجع الصبح مظلما
فكان تجلّيها حجاب جمالها كشمس الضحى يعشى بها الطرف كلّما

٤٤ – أبو الحسن علي بن احمد بن لبّال الامي القاضي

من أهل شريش . توفي بها سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ضحى يوم الثلاثاء الثاني لذي الحجة ودفن في اليوم المذكور . ومن قوله :

لما تقوّص مني الجسم عن كبرٍ وابيضّ ما كان مسودًا من الشعرِ
جعلت امشي كاني نصف دائرة تمشي على الارض او قوس بلا وتَرِ

وقال :

قوّس ظهري المشيب والكبَرُ والدهر، يا عمرو، كله عِبَرُ
كأنني والعصا تدبُّ معي قوسٌ لها وهيَ في يدي وَتَرُ

وقال :

ما كنت احسب قبل رُؤية وجهه انّ البدورَ تدورُ في الأغصانِ
غازلته حتى بدا لي شعره فحسبته درًا على مرجانِ
كم ليلة عانقته فكانما عانقت من عطفيه غصن البانِ
يطفى ويلعب تحت عقد سواعدي كالمهر يلعب بين ثني عنانِ

٤٥ – أبو الحسن محمد بن محمد بن مَسْلَمة

من أهل اشبيلية . ودار سلفه قرطبة . وتوفي سنة خمس وثمانين وخمسمائة .
له من قصيدة يمدح :

ما دارهم بمجيبة اطـلالُها فاستجرِ دمعك لن يفيد سؤالُها
اعيتك دارسة شطا بجديدها مرّ الجديد فاشكلت اشكالُها
والدار تلك وانما بك لوعة القاك في ليل الشكوك ظِلالُها
يادار اعلى الشطّ من وادي القرى مطلت عليك من الغمام ثقالُها
وجرى عليك من الرياح نسيمها والالطفان جنوبهـا وشمالُها

وله في كير حداد :

ومنضّد فيـه الرياح سواكنٌ فـاذا تحرّكَ آذنت بهبوبِ
يطوي على زفراته كشحاً له عند التحرّكِ هيأة المكروبِ
والآبنوس الفحم ان عرضته اهدى له ما شئت من تذهيب
صدر المحبّ تخال منه معملًا ومتى تعطّله فخصر حبيبِ

٤٦ ـ أبو محمد عبد الله بن محمد بن ذِمَام ـ الكاتب ـ

من عمل مرسية ، وسكن مالقة . وكان في اول امره توجه الى مراكش وتعلق بخدمة ابي القمر هلال بن محمد بن مردنيش . ومن قوله في هلال المذكور :

ملكت الفضل يا نجل ابن سَعد فما لك في الاكارم من نظير
حُسامُك حاسم عَدوَ الاعادي ومالك مُذهِبٌ عدمَ الفقيرِ
ووجهك ان تبدّى في ظلامِ تجـلّى عـن سَنى قمـرٍ منيرِ
لذا سماك من سمّى هلالًا لإشراق حُبيتَ بـه ونورِ

وكان هلال قد سأله ان يعارض اربعة من اشعار الغناء هذه القطعة أحدها، تركتها اختصاراً .

٤٧ ـ أبو بكر محمد بن محمد بن حارث اليَغْمُريّ

من اهل بذّه . قال : انشدنا ابو عبد الله بن الصفّار الضرير ، قال : انشدنا لنفسه يهجو ابن هَمشك :

هَمشكُ ضُمَّ من حرفين من هم ومن شكّ
فمن الدين والدنيا لإمرته اسىً تبكي

قال : وكان ابن همشك، واسمه ابراهيم بن احمد، عاتياً قاسياً . وهو رومي الأصل ، ملك في الفتنة جيان وسقورة ، وكثيراً من اعمال غرب الاندلس . وصاهر ابن سعد وخالفه ، ثم انه صار الى الدعوة المهدية على يد الشيخ ابي حفص . رحمه الله .

٤٨ ـ أبو الحجّاج ابن يوسف بن عبد الله بن ايوب الفهريّ

من أهل دانية . وسكن بلنسية . وولي بها الاحكام . وكان له بعقد الروط استقلال . وتوفي في شعبان سنة اثنين وتسعين وخمسمائة ، قال: وانشدني ابو الربيع بن سالم قال : انشدني لنفسه :

ابى الله الّا ان افارق منزلاً يطالعني وجه المنى فيه سافرا
كأنّ على الاقدار الّا أحُلّه يميناً فما اغشاه الا مسافرا

٤٩ ـ أبو عمرو رضيّ بن رضي الكاتب

من اهل مالقة . فمن قوله :

ولما التقينا نسيت النَّسيب فقالت نسيب نسي بي نسيباً

وحققت اني مغرى بهـا فقالت غريب غرى بي غريباً
كنتُ عن محب بغير اسمه فقالت منيبٌ مني بي منيباً

قال وحدثني ابو الحسين عبيد الله بن محمد بن الموصلي بثغر بطليوس ان ابا عمرو هذا استشهد براية من نواحيها ، وهو اذ ذاك يتولى الكتابة لواليها بعد التسعين وخمسمائة .

٥٠ ــ أبو القاسم محمد بن علي الهَمْدَانيّ المعروف بالبراق

من أهل وادي آش . وخرج منها في الفتنة فسكن بلنسية ومرسية . وسمع الحديث بها ، ثم عاد الى بلده قبل التسعين وخمسمائة ، وبعد موت ابن سعد . توفي هنـالك سنة ست وتسعين وخمسمائة . ومن قوله في وسيم يلبس اطمارًا وقاله ارتجالًا :

عاينته بين اطمار يزان بهـا ما بين مستتر منها ومنكشفِ
كأنه قمرٌ دارت به سحبٌ فالبعض منكشفٌ والبعض في سدفِ

وقال :

قالوا: التحى وستسلو عنه. قلت لهم: لا يحسن الروضُ ما لم ينبت الزهرُ
هل التحى طرفه الساجي فاهجره أو هل ترحزح عن اجفانه الحورُ

٥١ – أبو محمد عبد المُنعم بن محمد الخزرَاجيُّ

القاضي المعروف بابن الفرس ، من اهل غرناطة وبيوتاتها الاصلية . وذكر ما قاله الصيرفي في جده عبد الرحيم قال : وغاب عن الصيرفي من كان منهم بشارقة الاشراف من عمل بلنسية . وتوفي عبد المنعم رابع جمادى الأخيرة سنة سبع وتسعين وخمسمائة ومن قوله :

أأدعو فلا تلوي وانت قريب واشكو فلا تشكي وأنت طبيب
فهل شيب من تلك المصافاة مَشْرَعٌ وهيل على ذاك الاخاء كثيبُ

وذكر بيتي ابي محمد في خامات الزرع ، ثم قال : انشدنا ابو الربيع بن سالم : انشدنا ابو عبدالله ابن زرقون : انشدنا ابو الفضل عياض لنفسه ارتجالا وقد نظر الى ذرع يتخلل الشقر خضرته :

انظر الى الزرع وخاماته ... تحكي ، وقد ولت امام الرياح
كتيبة خضراء مهزومة ... شقائق النعمان فيها جراح

٥٢ – أبو بحر صفوان بن ادريس التجيبي الكاتب

من اهل مرسية . ومن نبيهات البيوتات بها . وهو ممن جمع تجويد الشعر الى تحبير النثر مع سداد المقصد وسلامة المعتقد . ومن تصانيفه كتاب بداهة المتحفز وعجالة المستوفز يشتمل على رسائله واشعاره وما خوطب به ، وراجع عنه ، وزاد المسافر وهو الذي عارضه الفقيه ابو عبدالله بهذا المجموع ، وتأليف في ادباء الاندلس لم يكمله ، قال : ومن اصحابنا من عثر على بعضه فحدث بكثرة ما حشر فيه من الفوائد . وتوفي معتبطاً لم يبلغ الاربعين سنة وثكله ابوه الخطيب ابو يحيى وهو تولى الصلاة عليه عند وفاته في شوال سنة ثمان وتسعين وخمسمائة . قال الفقيه ابو عبدالله : انشدني الاديب ابو محمد عبدالله بن علي النافقي المرسي فقال : انشدني لنفسه :

أحمى الهوى قلبي وأوقد ... فهو على ان يموت أو قد
وباللوى شادن عليه ... جيدُ غزال ووجه فرقد
علّله ريقه بخمر ... حتى انثنى طرفه فعربد
لا تعجبوا لانهزام صبري ... فجيش اجفانه مؤيد
انا له كالذي تمنى ... عبد نعم عبده وازيد
له عليّ امتثال أمر ... ولي عليه الجفاء والصد
ان بسملت عينه لقتلي ... صلى فؤادي على محمد

قال وانشدنا الحافظ ابو الربيع بن سالم قال : انشدنا صاحبنا الاديب الكاتب ابو بحر لنفسه يتغزل ويصف ليلة انس :

يا حُسنه والحسن بعض صفاتهِ والسحر مقصور على حركاتهِ
بدرًا لو انَّ البدر قيل له اقترح أملًا ، لقال اكون من هالاتهِ
يعطي ارتياح الغصن غصناً حمل الصباح فكان من زهراتهِ
والخال ينقط في صفيحة خدّه ما خطَّ حبر الصدغ من نوناتهِ
واذا هلال الافق قابل وجهه ابصرته كالشخص في مرآتهِ
عبثتْ بقلب عميده لحظاته يا رب لا تعتب عَلى لحظاتهِ
ركب المآثم في انتهاب نفوسنا فالله يجعلهنَّ من حسناتهِ
ما زلت اخطب للزمان وصاله حتى دَنا والبعد من عاداتهِ
فنفرت ذنب الدَّهر فيه لليلة سترت عَلى ما كان من زلّاتهِ
غفل الزمان فقلت منه ندرة يا ليته لو دام في غفلاتهِ
ضاجعته والليل يذكي تحته نارين من نفسي ومن وجناتهِ
بتنا تشعشع والعفاف نديمنا خمرين من غزلي ومن كلماتهِ
فضممته ضمَّ البخيل لماله احنو عليه من جميع جهاتهِ
اوثقته في ساعديَّ لانه ظبيٌ خشيت عليه من فلتاتهِ
والقلب يدعو ان يصير مساعدًا ليفوز بالآمال في ضماته
حتى اذا هام الكرى بجفونه وامتدَّ في عضدي طوع سناتِهِ
عزم الغرام عليَّ في تقبيله فنفضت ايدي الطوع من عزماتهِ
وابى عفافي ان اقبل ثغره والقلب مطويٌّ عَلى جمراتِهِ
فاعجب لملتهب الجوانح غلّة يشكو الظما والماء في لهَواتهِ

وذكر ابا بكر يحيى بن احمد بن بقي الاشبيلي في كلمته سبقه بهذا في القصيدة المشهورة :

بأبي غزال غازلته مقلتي بين العذيب وبين شطَّيْ فارق

أعذارَه رفقاً عليه فقد صدر الصبي غضبان عنك اسفْ
كيف انبريت لنون وجنته فمحوتها وكتبت لامَ الفْ
فكانها نهي لعاشقه لا تلتفت بدرًا جنى فكسفْ

وله في وسيم اثرت الشمس في وجنته :

ومعَنْدَم الوجَنات تحسب انه صبغت برُودَ الورد في وجناتِهِ
مثل الجمال بخدّه متنبئاً فشهدت أن الخال من آياتِهِ
فتوقدت احشاؤها من زفرة فبدا شعاع النار في مرآتِهِ

وله في آخر يرمي نارنجاً في ماء :

وشادن ذو غنج دلّه يروقنا طوراً وطوراً يروعْ
يقذف بالنارنج في بركةٍ كلاطخ بالدّم سود الدّروعْ
كأنها اكبادُ عشّاقه يتبعها في لجّ بحر الدموعْ

وله في نارنجة :

ربَّ نارنجة تأملتُ منها منظرًا رائعاً ونشئاً غريبا
نشأت في القضيب وهي رمادٌ فغذاها الحيا فعادت لهيبا

وله في باكورة :

حيّتك ضاحكة بنيّة ايكة تهفو تحيّتنا بعطف النادي
لما دَرَتْ ان سوف تثكل امها لبست بحكم الفقد ثوب حِدادِ
تنشقّ عن لمع البياض كانها قلبي تبسم عن ثغور ودادِ

وله في أكول :

وصاحب لِيَ لا كانت طبائعه كانها سُحب بالشّرط منهمرَهْ
اذا احسَّ بأكول تقدّمه يكادُ يسبق فيه حلقه بصرَهْ

النصوص الآثارية المتعلقة بدمشق

حمّامات دمشق

نصوص ينشرها

صلاح الدين المنجد
رئيس ديوان مديرية الآثار العامة في سورية (دمشق)

تمهيد

اشتهرت دمشق بوفرة مياهها . فبردى الذي « ينقسم قبلها وبعدها ، يعمّ دورها وبساتينها ويسقي قُراها ومزارعها »[1] . وقد أشاد كثير ممن زارها بغزارة مائها حتى ذهب ابن جبير إلى أن « أرضها سئمت كثرة الماء . فاشتاقت إلى الظمأ »[2] . وقد جعل ياقوت الحموي هذا الأمر من خصائصها فقال : « ومن خصائص دمشق التي لم أرَ في بلدٍ مثلها كثرة الأنهار بها ، وجريان الماء في قنواتها ، فقلّ أن تمرّ بحائطٍ إلا والماء يخرج منه في أنبوب إلى حوضٍ يُشرب منه ، يستقي منه الوارد والصادر . وما رأيتُ بها مسجداً ولا مدرسة ولا خانقاهاً إلّا والماء يجري فيه في بركة في صحن هذا المكان »[3] . وذلك لأن « الماء محكّم عليها من جميع نواحيها بإتقان محكم »[4] . وهذه المياه تجري في الأرض ، حتى جعل شمس الدين الدمشقي تحت دمشق مدينة من متصرّفات المياه فقال : « وتحت الأرض مدينة أخرى من متصرّفات المياه والقُنى ، وجداول ومسارب

---

١) مسالك الابصار (طبعة القاهرة) ص ٨١

٢) رحلة ابن جبير (ط . اوروبة) ص ٢٦١

٣) معجم البلدان (ط . ليبزيغ) ٢ : ٥٩٠

٤) صبح الأعشى (ط . القاهرة) ٤ : ٩٢ ، وانظر ايضاً مدارس دمشق للاربلي (ط . دمشق) ص ١١

ومخازن وقنوات تحت الأرض كلها ؛ حتى لو حفر الإنسان اين ما حفر من أرضها وجد مجاري الماء تحته مشتبكة طبقات ، يمنة ويسرة ، شيئاً فوق شيء.»[١].

وقد جعلوا هذه المياه زينة لها ، وفضلوها بها على غيرها . قال القلقشندي : « وحلب أجل بناء لعنايتهم بالحجر . ودمشق أزين وأكثر رونقاً لتحكم الماء على مدينتها وتسليطه على جميع نواحيها »[٢].

هذه الغزارة في المياه كانت سبباً في وجود حماماتها . وقد كان أهل دمشق يفخرون بحماماتهم هذي منذ زمن الأمويين . فقد ذكروا أن الخليفة الوليد بن عبد الملك لما بنى مسجد دمشق الكبير قال: « رأيتكم يا أهل دمشق تفخرون على الناس بأربع خصال : تفخرون بمائكم وهوائكم وفاكهتكم وحماماتكم فأحببت ان يكون مسجدكم الخامسة . »[٣]

« وقد اشتهرت هذه الحمامات في الشرق كله . وإنك لتجد بينها ما هو من روائع الفن الاسلامي »[٤] بطراز عمارتها وريازتها . وغنى زخارفها ونقوشها .

***

اول من تكلم على هذه الحمامات ، فيما نعلم ، الحافظ ابن عساكر (٥٧١هـ) فقد أفرد لها فصلاً في تاريخه الكبير عند كلامه على القُنى ثم خصها ابن شداد (٦٨٤هـ) بفصل في « أعلاقه الخطيرة »[٥]. ثم جاء ابو علي الحسن بن زفر الاربلي (٧٢٦هـ) فعدد ما وجده منها في كتابه المسمى « مدارس دمشق وربطها وجوامعها وحماماتها »[٦]. ثم عقبه يوسف بن عبد الهادي (٩٠٩هـ) فألف رسالة سماها « عدة الملمّات في تعداد الحمّامات » نقل فيها مـا ذكره ابن شداد ،

---

١) نخبة الدهر (ط. اوروبة) ص ١٩٣

٢) صبح الأعشى ٤ : ٩٣ .

٣) تاريخ مسجد دمشق (مخطوط في الظاهرية بدمشق)

٤) Sauvaget, *Rapport sur les Monuments Historiques de Damas*. p. 11, (Archives du S. A.)

٥) وقعت لنا ورقة من الاعلاق ، فيها من حمامات دمشق ، حمامات باب توما . وهي كما ذكرها الاربلي .

٦) نشره الاستاذ محمد دهمان بدمشق ، عام ١٩٤٧ .

والاربلي . وقد عدد ابن طولون وابن كنّان في كتابيهما « القلائد الجوهرية » ، و« المروج السندسية » ما وجداه في الصالحية وحدها من حمامات .

وآخر من افرد لحمامات دمشق كتاباً المهندسان الفرنسيان ايكوشار ولوكور[١] . وقد بحثا فيه عن الحمامات ، وأوصافها ، وآدابها[٢] ، وكيف تعمل واسهبا بالكلام على بنائها وتخطيطها ، وطراز زينتها[٣] .

***

والمدقق فيما أورده هؤلاء المؤلفون من حمامات يلاحظ كثرة حمامات دمشق ، من جهة ، وتناقص عددها على مرّ العصور ، من جهة ثانية .

فلقد ذكر ابن عساكر ان فيها — الى سنة سبعين وخمسماية — سبعة وخمسين حماماً[٤] ، سوى حمامات القرى . وذكر ابن شدّاد — وكان في القرن السابع — خمسة وثمانين[٥] . وهو قريب من عدد حمامات القاهرة في العصر نفسه ، فقد ذكر ابن عبد الظاهر ان عدة حمامات القاهرة الى آخر سنة خمس وثمانين وستماية يقرب من ثمانين حماماً[٦] . أما الاربلي فقد وجد في دمشق ، في القرن الثامن ، اربعة وسبعين حماماً[٧] .

وقد سرد ايكوشار اسماء ستين حماماً وجدها عام ١٩٤٠[٨] . أما ما بقي يعمل من الحمامات اليوم فهو ثمان وعشرون[٩]

***

١) M. Ecochard et C. Le Cœur, *Les Bains de Damas*. Beyrouth, 1942.

٢) لابن عبد الهادي كتاب اسمه «آداب الحمام وأحكامه» مخطوط في دار الكتب الظاهرية . وقد ذكرنا في الذيل الملحق ابوابه .

٣) في كتاب وقف لالا مصطفى باشا . وصف تام لحمام الراس ، جدير بأن يكون أنموذجاً لوصف كل حمام . انظر ص ١٥١

٤) انظر اسماء الحمامات ، ص ٤٠٥ – ٤٠٨ في هذا الجزء من « المشرق » .

٥) هذا العدد مأخوذ عن رسالة الاربلي .

٦) الخطط للمقريزي (بولاق ١٢٧٠هـ) ٢ : ٨٠

٧) مدارس دمشق . . . ص ١٩

٨) Ecochard, *Bains*... p. 55-57 (Partie Première)

٩) انظر ذيل هذا المقال ص ٤١٩

وقد لخص عبد القادر بدران (١٩٢٧م) فصل حمامات دمشق، (تاريخ ابن عساكر) فحذف بعضه، واضاف بعض الحمامات الى بعض[1]؛ مما افقده شأنه. فرأينا ان نعيد نشره تاماً من مخطوطة دمشق. اما كتاب الاربلي فقد حققه الاستاذ محمد دهمان ونشره. وها نحن نقدم الان فصل ابن عساكر، ورسالة «عدة الملمات» لابن عبد الهادي. وقد ذيلنا ذلك كله باسماء ما بقي من الحمامات بدمشق في ايامنا ليكون أتم وأدعى للفائدة، كما ألحقنا بذلك وصفاً لكتاب «آداب الحمام وأحكامه» المحفوظ بدار الكتب الظاهرية.

١) مهذب ابن عساكر ١ : ٢٥٠

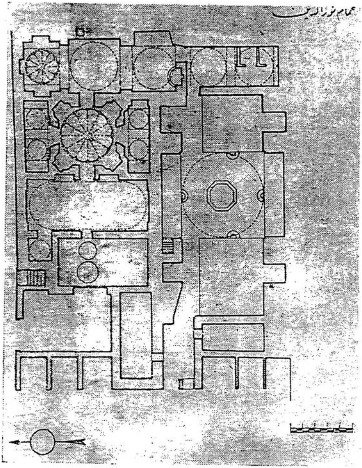
حمامات دمشق

من مخطوطة تاريخ دمشق لابن عساكر

(ورقة ١٧٨ ب – ١٧٩ آ . تاريخ رقم ١ مجلد ١)
دار الكتب الظاهرية .

فأما الحمامات :

١ فحمام القلعة المحروسة
٢ وحمام القاضي عند باب الجابية .
٣ وحمام داخل القصّاعين .
٤ وحمام داخل درب الهاشميين المعروف بالجديد . كان قديماً ، فخرب وجدّده حسن الخادم .
٥ وحمام القُصَير .
٦ وحمام بيت الأمير جاروخ .
٧ وحمام الشريف العقيقي .
٨ وحمام الديوان لطيف .
٩ وحمام القلانسيّين عند القيساريّة الفخرية .
١٠ وحمام الأكّافين الذي في سوق علي .
١١ وحمام نور الدين الجديد في سوق القمح .
١٢ وحمام ابن أبي نَصْر خلف سُوَيْقة الباب الصغير .
١٣ وحمام درب النخلة عند باب الصغير ، وقفه نور الدين رحمه الله .
١٤ وحمام الجُمَحي بقرب المقلاط في درب الجُمَحي . خرب وصار داراً لابن قوام .
١٥ وحمام سُوَيد عند دار ابن مَنْزو .
١٦ وحمام يُعرف بالمؤيّد .
١٧ وحمام إلى جانبه يعرف بالسلارية .
١٨ وحمام خَفيف في درب خفيف بقرب باب الفراديس .



تخطيط حمام نور الدين بدمشق . (من مديرية الآثار العامة بدمشق)

وهو من أقدم الحمامات بدمشق بناه نور الدين محمود بن زنكي (-٥٦٩) بين سنة دخوله دمشق سنة ٥٤٩هـ وسنة بنائه المدرسة النورية الكبرى وهي ٥٥٦٧. وجعل الحمام وقفاً لها.

ويقع بسوق البزورية (البزوريين ، أو سوق القمح قديماً) أعظم أسواق مدينة دمشق التجارية. وقد جُعل اليوم مخزناً ومحلّاً للتجارة.

١٩ وحمام ابن كلى عند دار طَرخان.

٢٠ وحمام النحاسين بقرب سقيفة كَرَوس على بير.

٢١ وحمام عنده يُعرف بابن القُطيطة على بير أيضاً.

٢٢ وحمام دار الوزير المزدقاني صغير.

٢٣ وحمام الجُبن في درب الجبن خلف الحدادين.

٢٤ وحمام ابن ابي هشام في درب الحبّالين.

٢٥ وحمام (آخر ١٧٨ ب) التميمي في دار البطيخ تخرّب.

٢٦ وحمام في الحريميين خلف سوق المطرزيين على بير.

٢٧ وحمام المطرّزيين خلف قناة سوق الأحد.

٢٨ وحمام اللؤلؤة، كان قديماً يُعرف بحمام اليزيديّين، وكان لطيفاً على مدار فكُبِّر وسيقت له قناة. والمدارُ باقٍ إلى اليوم.

٢٩ وحمام ابن أبي الحديد عند منارة فَيْروز.

٣٠ وحمام العَلَويّ خلف طريق العلوي في كنيسة مريم.

٣١ وحمام درب الحَجَر. كان على بير فسيق له الماء.

٣٢ وحمام عند رأس قنطرة سنان.

٣٣ وحمام خطلبا بقرب كنيسة مريم.

٣٤ وحمام ابن عبادة بقرب حير قسام وسقيفة جناح.

٣٥ وحمام علي المنجنيقي عند الباب الشرقي.

٣٦ وحمام ابن صُصْرى عند باب توما له قناة وبير.

٣٧ وحمام الشريف عند دار ابن بوري كان له قناة وله بير في الأرض.

٣٨ حمام الأسديين على باب الجابية.

٣٩، ٤٠ وحماما أبي المعالي ابن تميم في العُقَيبة.

٤١ وحمام ابن قرقين بقرب حمامي ابن تميم.

٤٢ وحمام بناه ابن زاكي بقرب قبة طرخان.

٤٣ وحمام توماس بقرب الرحى البرمكيّة.

٤٤ وحمام عند عُوَينة القصّارين.

٤٥ وحمام يُعرف براهب الكلّاس في دار أم البنين.

٤٦ وحمام آخر بقرب عُوَيْنَة الحمى.

٤٧ وحمام عند رأس بستان بكجور.

٤٨ وحمام آخر إلى جانبه.

٤٩، ٥٠ وحمامان عند عين كُشْتِكين خارج باب السلامة.

٥١ وحمام ابن مُمين الذي خارج باب توما بقرب السبع أنابيب.

٥٢ وحمام ابن صَدَقة في الشاغور خارج باب الصغير.

٥٣ وحمام ابن عبادة في الشاغور أيضاً.

٥٤ وحمام القصر بالنيرب الأسفل.

٥٥ وحمام ابن العفيف بوادي النيرب.

فيلفها سبعة وخمسون[1] حماماً سوى حمامات القرى (ورقة ١٧٩ آ).

١) المذكور هنا خمسة وخمسون حماماً. فلعله سقط من الاصل اسم حمامين.

كتاب
عِدَّة الملمات في تعداد الحمامات
أجزتُ لأولادي روايته وكتَبَ
يوسف بن عبد الهادي

مخطوط في دار الكتب الظاهرية . رقمه : عام ٤٥٣٥ . دشت . كتب بخط المؤلف في اواخر القرن التاسع الهجري . ثماني ورقات . مخروم من اطرافه . أبعاد الورقة : ١٩½×١٤ سم . في الورقة اربعة عشر سطرًا ، وقد تبلغ خمسة عشر سطرًا . في السطر عشر كلمات ، وقد تبلغ ثلاث عشرة كلمة .

انظر ترجمة يوسف عبد الهادي في شذرات الذهب (ط . القدسي بالقاهرة) ج ٨ ص ٤٣ وانظر مقدمة اسعد طلس لكتاب مساجد دمشق (ثمار المقاصد في ذكر المساجد – ط . المعهد الفرنسي بدمشق) ص ٩–٤٩ . وانظر بروكلمن (تاريخ الادب العربي) ج ٢ ص ١٠٧ . ومعظم تواليف ابن عبد الهادي محفوظة بخطه بدار الكتب الظاهرية بدمشق . وبعضها بمكاتب برلين وغوطا واسكوريال وباريس ، وحلب (انظر بروكلمن) . وقد نشر الاستاذ حبيب الزيات منها رسالة « الاعانات على معرفة الخانات » (الخزانة الشرقية ، مجلة المشرق ٣٦ [١٩٣٨] ٦٩) .

بسم الله الرحمن الرحيم

وهو حسبي

الحمد لله على سائر الحالات ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ؛ اله تفرّد في الذات والصفات . وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله [وأ]صحابه في كل وقت من الأوقات وسلم تسليما . وبعد [فه]ذه نبذة يسيرة أذكر فيها حمامات دمشق والله أسألُ المعونة وهو حسبنا ونعم الوكيل .

الأول حمام الكتاني ذكره ابن شدّاد .

الثاني حمام جلم ذكره ابن شدّاد .

الثالث حمام عز الدين ذكره ابن شدّاد وأبو علي الأربلي وقال : داخل باب النصر .

الرابع حمام تميرك ذكره ابن شدّاد وأبو علي الاربلي .

الخامس حمام شركس ذكره ابن شدّاد وأبو علي الاربلي .

السادس حمام البيمارستان ذكره ابن شدّاد وأبو علي الاربلي .

السابع حمام قُميس ذكره ابن شدّاد وأبو علي الاربلي (٦٦آ) .

الثامن حمام العدل ذكره ابن شدّاد وأبو علي الاربلي .

التاسع حمام ست الشام ذكره ابن شدّاد وأبو علي الاربلي وقا[ل: حمام] تربة امّ الصالح ويعرف بحمام ست الشام أيضاً .

العاشر حمام درب اللبان ذكره ابن شداد وأبو علي الاربلي .

الحادي عشر حمام الجوهري ذكره ابن شداد .

الثاني عشر حمام الشريف ذكره ابن شداد وأبو علي الا[ربلي] .

الثالث عشر حمام كريم الدين ذكره ابن شداد .

الرابع عشر حمام ابن يُمن ذكره ابن شداد وأبو علي الاربلي .

الخامس عشر حمام سوق علي ذكره ابن شداد وأبو علي الاربلي .

السادس عشر حمام نور الدين ذكره ابن شداد وأبو علي الاربلي . وزاد : بسوق البزوريين . وذكر أن حمام البيمارستان يُقال له حمام نور ال[دين] .

السابع عشر حمام قراجا ذكره ابن شداد وابو علي الاربلي .

الثامن عشر حمام سويد ذكره ابن شداد وابو علي الاربلي .

التاسع عشر حمام عز الدين استاذ الدار ذكره ابن شداد وابو علي الاربلي .

العشرون حمام السلم ذكره ابن شداد وابو علي الاربلي .

الحادي والعشرون حمام الرحبة ذكره ابن شداد وابو علي الاربلي .

الثاني والعشرون حمام ابو (كذا) شامة ذكره ابن شدّاد .

الثالث والعشرون حمام الجبن ذكره ابن شدّاد وابو علي الاربلي .

الرابع والعشرون حمام العجج ذكره ابن شدّاد وابو علي الاربلي .

الخامس والعشرون حمام السنبوسك ذكره ابن شدّاد وابو علي الاربلي .

السادس والعشرون حمام البقل ذكره ابن شداد وأبو علي الاربلي.
[الـ]سابع والعشرون حمام حارة الخاطب ذكره ابن شداد وأبو علي الاربلي.
[الثام]ن والعشرون حمام العميد ذكره ابن شداد.
التاسع والعشرون حمام العسقلاني ذكره ابن شداد.
الثلاثون حمام قراجا أيضا ذكره ابن شداد.
الحادي والثلاثون حمام الزلاقة ذكره ابن شداد.
الثاني والثلاثون حمام الزبيق ذكره ابن شداد وأبو علي الاربلي.
الثالث والثلاثون حمام أبي الطيب ذكره ابن شداد والاربلي وقال: حمام ابن ابي الطيب ولعله اصوب.
الرابع والثلاثون حمام اللؤلؤة ذكره ابن شداد وأبو علي الاربلي.
[الخـ]امس والثلاثون حمام الصوفي ذكره ابن شداد وأبو علي الاربلي.
السادس والثلاثون حمام خطلبا ذكره ابن شداد وأبو علي الاربلي.
[السابـ]ع والثلاثون حمام العلوي ذكره ابن شداد وأبو علي الاربلي.
الثامن والثلاثون حمام الفايز ذكره ابن شداد وأبو علي الاربلي.
التاسع والثلاثون حمام أسد الدين ذكره ابن شداد وأبو علي ا[لاربلي].
الأربعون حمام قاضي اليمن ذكره ابن شداد وأبو علي الاربلي.
الحادي والاربعون حمام كرجي ذكره ابن شداد وأبو علي الاربلي.
الثاني والاربعون حمام القرز خليل ذكره ابن شداد وأبو علي الاربلي.
الثالث والاربعون حمام الزُرَيْزِير ذكره ابن شداد و [ابو علي الاربلي]
الرابع والاربعون حمام الحريمين ذكره ابن شداد وابو علي [الاربلي].
الخامس والاربعون حمام المطرّزيين ذكره ابن شداد.
السادس والاربعون حمام العرايس ذكره ابن شداد وابو علي الاربلي.
السابع والاربعون حمام الصوفي ذكره ابن شداد.
الثامن والاربعون حمام النيطون ذكره ابن شداد.
التاسع والاربعون حمام سعد الدين ذكره ابن شداد.

الخمسون حمام الدولاب ذكره ابن شداد.
الحادي والخمسون حمام الزنجاري ذكره ابن شداد.
الثاني والخمسون حمام درب العجم الكبير ذكره ابن شداد وابو علي الاربلي.
الثالث والخمسون حمام درب العجم الصغير ذكره ابن شداد وابو علي الاربلي.
الرابع والخمسون حمام أسامة ذكره ابن شداد وابو علي الاربلي.
الخامس والخمسون حمام الطاس ذكره ابن شداد وابو علي الاربلي.
[السا]دس والخمسون حمام الصحن ذكره ابن شداد وابو علي الاربلي.
[السا]بع والخمسون حمام المؤيد ذكره ابن شداد وابو علي الاربلي.
الثامن والخمسون حمام السلارية ذكره ابن شداد وابو علي الاربلي.
التاسع والخمسون حمام حبيب ذكره ابن شداد.
الستون حمام الملك الزاهر ذكره ابن شداد وابو علي الاربلي
الحادي والستون حمام السلطان ذكره ابن شداد وابو علي الاربلي.
[الث]اني والستون حمام جاروخ ذكره ابن شداد وابو علي الاربلي.
[الث]الث والستون حمام القصير ذكره ابن شداد وابو علي الاربلي.
[ال]رابع والستون حمام ابن موسك ذكره ابن شداد وابو علي الاربلي.
الخامس والستون حمام العقيقي ذكره ابن شداد وابو علي الاربلي.
السادس والستون حمام القاضي ذكره ابن شداد وابو علي الاربلي.
السابع والستون حمام الوزير ذكره ابن شداد وابو علي الاربلي.
الثامن والستون حمام القُطَيْطة ذكره ابن شداد وأبو علي الاربلي.
التاسع والستون حمام درب الشمّارين ويُعرف بحمّام صالح ذكره ابن شداد وأبو علي الاربلي.

الحمام السبعون حمام الكبالي ذكره ابن شداد.
الحادي والسبعون حمام الصفيّ بالزلاقة ذكره ابن شداد [وأبو علي] الاربلي.
الثاني والسبعون حمام جمال الدين الرومي ذكره ابن شداد.
الثالث والسبعون حمام ابي نصر ذكره ابن شداد وأبو علي الاربلي.
الرابع والسبعون حمام الاندر ذكره ابن شداد وأبو علي الاربلي.

الخامس والسبعون حمام القاضي الفاضل ذكره ابن شداد.

السادس والسبعون حمام حُذَيد ذكره ابن شداد وأبو علي الا[ربلي].

السابع والسبعون حمام الهيامي ذكره ابن شداد.

الثامن والسبعون حمام بدرب البها. شمس يعرف بالهاشميين ذكره... خرب وجدده حسن الخادم. لم يُعرف.

التاسع والسبعون حمام الديوان لطيف ذكره ابن شداد.

الثانون حمام سوق علي يعرف بالأكافين ذكره ابن شداد.

الحادي والثانون حمام درب النخلة عند باب الصغير ذكره ابن شداد.

الثاني والثانون حمام الجُمحي ذكر أنه خرب وصار دارًا تعرف... بن قوام ذكره ابن شداد.

الثالث والثانون حمام التميمي بدار البطيخ خرب. وهو الآن [م]ساكن. ذكره ابن شداد.

الرابع والثانون حمام طويل الى جانب كنيسة مريم ذكره ابن شداد.

الخامس والثانون حمام عند رأس قنطرة سنان ذكره ابن شداد.

السادس والثانون حمام القاضي المالكي بباب الفرج عَمَرَه القاضي التلساني.

السابع والثانون حمام الملّاني.

الثامن والثانون حمام الكهالي ذكره أبو علي الاربلي.

التاسع والثانون حمام الهاشمي ذكره أبو علي الاربلي.

التسعون حمام سعيد ذكره الاربلي.

الحادي والتسعون حمام رحيبة ذكره الاربلي.

الثاني والتسعون حمام آخر لسعيد ذكره الاربلي.

الثالث والتسعون حمام الزنجالي ذكره الاربلي.

الرابع والتسعون حمام خفيف ذكره الاربلي.

الخامس والتسعون حمام صاحب حمص ذكره الاربلي.

السادس والتسعون حمام العقيقي ذكره الاربلي.

السابع والتسعون حمام دار السعادة ذكره الاربلي.

الثامن والتسعون حمام اخر للشريف ذكره الاربلي.

التاسع والتسعون حمام درب اللبان ذكره الاربلي.

المائة حمام اخر للمارستان ذكره الاربلي.

الحادي حمام [بدر الدين بجا]رة[١] البلاطة ذكره الاربلي

الثاني حمام ..... ذكره الاربلي.[٢]

☐ .

وقد ذكر ابن عساكر في تاريخه الى سنة سبعين وخمسماية ان الحمامات الموجودة بدمشق وظواهرها بسبعة وخمسون حماماً. وذكر ابو علي الاربلي ان الحمامات التي داخل دمشق اربعة وسبعون حماماً. وان التي بها وبما هو متصل بها من حواضرها مائة وسبعة وثلاثون حماماً. وذكر الإربلي ان بالمتصل بدمشق حمام ابن العديم والحمام الجديد.

[فـ]ـصل في حمامات جهة القبلة

وفي جهة القبلة اربعة:

الاول حمام مسجد برأس ميدان الحصى ذكره ابن شداد.

الثاني حمام غازي ذكره ابن شداد.

الثالث حمام الريس ذكره ابن شداد.

[الرا]بع حمام العدى (؟) ذكره ابن شداد.

وذكر الاربلي ان [بالقُبَيْـ]ـبات حمام قديم وحمام جديد أنشأه الصاحب شمس الدين عبدالله.

[فصـ]ـل وفي الشاغور حمامان

الاول حمام ابن الشجري ذكره ابن شداد.

الثاني حمام اولاد ابن صاحب حمص ذكره ابن شداد. وعدّه الاربلي في حمامات دمشق.

---

١) الزيادة من الاربلي.

٢) بياض في الأصل.

فصل وبالنقيبة عدة حمامات

الاول حمام الكحال ذكره ابن شداد.

الثاني حمام العوينة ذكره ابن شداد.

الثالث حمام دلدرم ذكره ابن شداد.

الرابع حمام الراهب ذكره ابن شداد.

الخامس حمام الشريف الزجاج ذكره ابن شداد.

السادس حمام الرشيد ذكره ابن شداد.

السابع حمام الصالح ذكره ابن شداد.

الثامن حمام قرقين ذكره ابن شداد

التاسع حمام الشجاع ذكره ابن شداد.

العاشر حمام اسرائيل ذكره ابن شداد.

الحادي عشر حمام العجمي ذكره ابن شداد.

الثاني عشر والثالث عشر حمامان لابن السرهنك ذكرهما ابن شداد.

فصل وبباب السلامة ثلاث حمامات.

الاول حمام القاضي محيي الدين ذكره ابن شداد.

الثاني حمام ابن مُنجأ ذكره ابن شداد.

الثالث حمام الوراقة ذكره ابن شداد.

فصل وبحكر السماق حمامات

الاول حمام الحسام ذكره ابن شداد.

الثاني حمام الصوفية ذكره ابن شداد.

الثالث حمام الميدان ذكره ابن شداد.

الرابع حمام الظاهرية ذكره ابن شداد.

فصل وبباب توما حمامات

[الا]ول حمام دايم ذكره ابن شداد.

[الثا]ني حمام داثر ذكره ابن شداد.

الثالث حمام الزنجاري ذكره ابن شداد.

فصل وبباب شرقي حمام واحدة لغلام ابن يُمن جوار دير الجذمى ذكره ابن شداد.

فصل وبالقلعة حمامان.

فصل وذكر الاربلي ان بالسهم خمس حمامات:

الاول حمام حدّوتة.

الثاني حمام الاعسر.

الثالث حمام الزُعَيْفَرينة.

الرابع [حمام] القواس.

[وقد أنشأ الصاحب بهاء الدين بن عليم حماماً في بستانه](1)

فصل وبالصالحية حمامات

الاول حمام الركنيّة.

[الثـ]اني حمام العلّاني.

الثالث حمام الشبليّة ذكره الاربلي.

الرابع حمام الكاس شرقي المدرسة.

الخامس حمام القاضي في راس سوق الفاكهة ذكره الاربلي.

السادس حمام الحاجب بناه الامير محمد بن مبارك حاجب دمشق.

السابع حمام الزهر ذكره الاربلي.

الثامن حمام الجورة عند البيمارستان ذكره الار[بلي].

التاسع حمام الحنفي عند بيت الباعوني.

العاشر حمام ابن الخواجا ابراهيم نحو بيته.

الحادي عشر حمام المقدم عند الجامع الجديد.

الثاني عشر حمام ابن العيني عند بيته.

الثالث عشر حمام العرايس.

الرابع عشر حمام العفيف.

الخامس عشر حمام عبد الباسط بالجسر.

---

1) الزيادة من الاربلي المطبوع.

السادس عشر حمام الزمرد

وقد ذكر الاربلي ان بجبل قاسيون اربعة عشر حماماً فذكر الاربعة المتقدمة .

والخامس حمام المدفف

والسادس حمام الورد

والسابع حمام عبد الحميد

والثامن حمام دبوقا .

والتاسع حمام [خرنوبة][1] .

[والعاشر] حمام الياسمين .

والحادي عشر حمام النحا[س القديمة][1] .

وحمام اخرى جددها القرماني وتعرف [بحمام النحاس ايضاً . وحمام انشأه الصاحب بهاء الدين بن عليم ايضاً بجبل الصالحية وهو جبل قاسيون قريب من اليغمورية .

وحمام أنشأه أيدمر مملوك الصاحب عز الدين بن القلانسي على طريق الجسر الابيض بطريق][1] جبل قاسيون .

قال وبالنيرب حمام واحد وهو حمام العز المطرز .

فصل وبالمزة حمامات

الاول حمام المسعودي ذكره الاربلي .

الثاني حمام العفيف ذكره الاربلي .

والثالث حمام الموافي وجددها فخر الدين اياس ذكره الاربلي .

فصل وببيت الآلهة وجوبر والعنابة حمامات

الاول . [2]

فصل وبكفرسوسيا حمام ذكره الاربلي .

فصل وبالربوة حمام

---

١) الزيادة من الاربلي المطبوع .

٢) بياض في الاصل مقدار سطر .

فصل فيما فيه حمام من قرى الغوطة .

بالقابون الفوقاني حمامان.

بالقابون التحتاني حمامان.

وببرزه حمام.

وبزملكا حمام.

وبجرستا حمام.

وبجمورية حمام.

وبسقبا حمام.

وبكفربطنا حمام.

وبعين ثرما حمام.

وبعقربا حمام .

وببيلدا حمام.

وبجرمانا حمام.

وبكفرسوسيا حمام.

وبداريا حمام.

وبالمنيحة حمام.

قال الاربلي : وبين حرستا وأرزونة حمام واحد يُعرف بحمام مسيلمة .

هذا اخر ما قدرنا على حصره من حمامات دمشق والحمد لله . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم . وفرغ منه يوسف بن حسن بن عبدالهادي . والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

ذيل

حمامات دمشق في زمننا

اما حمامات دمشق في زمننا فقد صدف الناس عنها وقلّت الرغبة فيها . واتخذت محالّ للصاغات والتجارات وخزن البضاعة . وسبب ذلك وجود الحمامات الخاصة المبنية على الطراز الاوروبي في الدور . فقلّ ان تجد دارًا حديثة ليس فيها حمام ينصب فيها ماء الفيجة صافيًا عذبًا . وادخلت هذه الحمامات الخاصة في الدور القديمة ايضًا . وما بقي من الحمامات في المدينة يكاد يكون مقصورًا على العامة والطارئين على دمشق من المدن والقرى.

وهاك اسماء ما بقي من الحمامات :

حمام العفيف — في الصالحية ، على طريق المهاجرين . وقد كان بالقرب منه الى الشمال مسجد صغير فهدم في هذه الايام . ووسمت الطريق .

حمام المقدّم — في الصالحية ، على الطريق المؤدية الى المدرسة الجهاركسية والتربة الخاتونية .

حمام الحاجب — في الصالحية ، في جنوب المدرسة العمرية التي بُدئ بهدمها الآن لفتح الطريق ، مقابل المدرسة الحاجبيَّة المتهدّمة . وفيه زخارف من الجص ، نادرة وجميلة .

وهذه الحمامات يأتيها ماؤها من نهر يزيد .

حمام الورد — بسويقة صاروجا .

حمام الجوزة — بسويقة صاروجا .

حمام العمري	بالعقيبة ، مقابل جامع التوبة ، من الشمال .
حمام أمونة	بالعُقَيبة ، في المزرعة ، في الجنوب الشرقي من مقبرة الدحداح .
حمام الخانجي	بالعُقيبة .

وماء هذه الحمامات من نهر تورا .

حمام القرماني	عند سوق العتيق ، حيث تباع الخضراوات واللحوم والفاكهة شرق جامع يلبغا .

وماء هذا الحمام من بانياس وتورا .

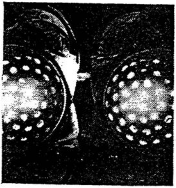
حمام الملك الظاهر	وهو حمام العقيقي ، لصيق المدرسة الظاهرية الجوّانية .
حمام القيمرية	بالقيمرية وهو يفتح ابوابه في شهور الشتاء .
حمام البكري	بالقيمرية ، بالقرب من باب توما . بناه البكري لرجل اسمه ابو المواهب عام ١٠٢٦هـ .

وماء هذه الحمامات من نهر بانياس .

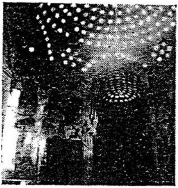
حمام السلسلة	في العمارة الجوّانية ، شرق المدرسة الاخنائية ، في الطريق الآخذة الى المدرسة الشريفية الحنبلية . وفيه زخارف صغيرة من الجص .
حمام الملكة	في القنوات ، على الطريق الآخذة الى الميدان ، شمال جامع درويش باشا ، بين مدخل سوق الحميدية ومدخل سوق مدحت باشا . وفيه زخارف كثيرة غنية ، تشبه زخارف مسجد درويش باشا .
حمام القاضي	في نزلة حمام القاضي
حمام السنانية	بالقرب من مسجد سنان باشا ، نحو الجنوب . وفيه زخارف غنية متقنة .
حمام ركاب	بالشاغور الجوّانية ، شمال الباب الصغير .
حمام المسك	غرب الباب الشرقي ، بالقرب من رباط ابي البيان .



زاوية من المقرنصات



مقرنصات مأخوذة من الاسفل



مقصورة

هذه الصور من حمام التيروزي بدمشق بناها حاجب الحجاب بدمشق خليل التيروزي سنة ٨٤٥ هـ. وهي من اجمل حمامات دمشق . وكان يُكرى زمن بنائه ، كل يوم بأكثر من اربعين درهماً .

(الصور من مديرية الآثار العامة بدمشق)

حمام الصفيّ	هو حمام الصفي بن شكر بالزّلاقة شمال الباب الصغير .
حمام السروجي	خارج الباب الصغير .
حمام التيروزي	في محلة قبر عاتكة ، وبجانبه مسجد التيروزي ، وفيها قطع نفيسة من القاشاني .

حمام الزيني	ويسمّى حمام الزين ، وهو في السويقة ، وهي سكّن المغاربة .
	وماء هذه الحمامات من بانياس وقنوات .
حمام فتحي	وهو حمام فتحي الدفتردار ، في الميدان زقاق الموصلي بني عام ١١٥٨ هـ . وفيه زخارف جصيّة بارزة في غاية الاتقان والجمال .
حمام الرفاعي	في سوق الميدان، شرق مسجد منجك .
حمام العاقل	في الحقلة .
	وماء هذه الحمامات من الديراني وقنوات .
حمام الجديد	في الميدان السلطاني ، بالقرب من المدرسة الرشيدية .
حمام الدرب	في الميدان السلطاني .
حمام الترقة	في الميدان السلطاني .
	وماء هذه الحمامات من نهر الديراني .

فهذه ثمان وعشرون حماماً[1] .

---

١) انظر اسماء الحمامات التي أوردها ايكوشار في كتابه حمامات دمشق . وقايس بين ما عددناه وما ذكره .

M. Ecochard et C. Le Cœur, *Les Bains de Damas*. Première partie, p. 55-57.

وكذلك انظر قائمة المراجع التي استخدمها في بحثه عن الحمامات ، في القسم الثاني من الكتاب ص ٤٢١ .

ذيل ملحق

كتاب آداب الحمام واحكامه

ليوسف بن عبد الهادي

مخطوط في دار الكتب الظاهرية بدمشق . عام ٦٠٤٩ علقه بخطه ، سنة ٨٨٠ ه . ٩٥ ورقة ١٣×١٩ ، مخرومة الاول .

في الكتاب نقص بين الورقة ٣ - ٤ . وفيه نقص من الباب الرابع والسادس . ونقص بين الورقة ٨ - ٩ . وفيه نقصُ قسمٍ من الباب السابع ، وجميع الباب الثامن . ونقص قسم من الباب الثالث والعشرين . ونقص بين الورقة ٣٣ - ٣٦ . ونقص بين الورقة ٧٨ - ٧٩ .

اما ابواب الكتاب فهي :

تلك هي فصول الكتاب وابوابه، وهو يدل، في جملته، على مبلغ عناية السلف بالحمامات، واهتمامهم بأمرها.

تاريخ اسبانية
في عهدها الاسلامي

بحث انتقادي للاب اسطفان لاتور اليسوعي

تعريب الاب تونل اليسوعي

كنا في الماضي مدينين للعلامة دوزي (Dozy) الهولندي الكبير بالكثير من معارفنا عن التاريخ الاسباني الاسلامي ، واليوم لنا من ابحاث السيد لاڤي بروڤنسال في هذه الناحية ما يفتح امام وجوهنا آفاقاً لم نكن قد رأيناها ، ويكشف القناع عن موادّ كانت خافية علينا ، وقد ثبتت اوضاعها تثبيتاً لا شك في صحته ، وذلك في الكتاب الذي نشره العالم المذكور ، سنة ١٩٤٤ ، تحت اشراف المؤسسة الاثرية الفرنسية في القاهرة اعني به «تاريخ اسبانية في عهدها الاسلامي»[1] . والمجلد الاول منه يشمل السنين المنقضية من مطلع الفتح حتى انقراض الخلافة القرطبية (٧١٠ — ١٠٣١ م) .

ولم يقدم الاستاذ لاڤي بروڤنسال على هذا النشر الا بعد ان استمدّ له بجهود آتت ثمارها في عدة مؤلفات جديدة هي هذه :

— اسبانية الاسلامية في القرن العاشر .

— المدنية العربية في اسبانية .

— شبه جزيرة ايبرية في القرون الوسطى ، اخذاً عن كتاب الروض المعطار لابن عبد المؤمن الحميدي ، ليدن ، ١٩٣٨ ، ومن غير ذلك من المصادر التي كانت الى الامس القريب غير منشورة بعد كمجموعة « الكتابات الاثرية العربية في اسبانية » و « البقايا غير المطبوعة » والابحاث الاخرى المنشورة في

1) E. Lévi-Provençal, *Histoire de l'Espagne Musulmane*. t. 1 ; De la Conquête à la chute du Califat de Cordoue (710-1031 J. C.) [Etudes Historiques publiées par l'Institut Français d'Archéologie Orientale du Caire. V. 1.]

مجلات الاستشراق ، فضلًا عن طبعة جديدة لكتاب دوزي اصدرها لافي بروفنسال نفسه سنة ١٩٣٢ ، بعد ان اعاد النظر فيها بالدقة والتمحيص.

ويؤدي بنا الكلام عن هذا الكتاب الى وصف اقسامه اولا ، ثمّ الى البحث في قيمة موادّه:

قسم المؤلف كتابه جزئين : ١ً = الامارة . ٢ً = الخلافة.

ينقسم الجزء الاول – الامارة – اربعة فصول : ١ً الفتوحات ونشر الدين الاسلامي . ٢ً نشأة الامارة الاموية في قرطبة . ٣ً سلطنة عبد الرحمن الثاني (وفيها بلغت الدولة ذراها). ٤ً ازمة الإمارة من السنة ٨٥٢ الى السنة ٩١٢م.

اما الجزء الثاني فاليك فصوله : ١ً عبد الرحمن الثالث اميرًا وخليفة . ٢ً اسبانية على عهد الخلافة من ٩٦١ الى ١٠٠٨ ، مع سيادة بني عامر عليها . ٣ً انحطاط خلافة قرطبة وانقراضها (١٠٠٨ – ١٠٣١) .

وقد قدّم على التاريخ الذي تبسّط في كتابته لائحة ذكر فيها المراجع التي رددها واستند اليها (مشيرًا باختصار الى مواطنها) في النصوص العربية واللاتينية مع ترجمتها وفي المؤلفات او المقالات العصرية ، عائدًا بالقارئ في اسفل الصفحات الى المصادر والكتب الحديثة مع ذكر المتن والصفحات المناسبة له في الترجمة عند الحصول عليها[1].

---

١) اننا لا نتردد في تعداد المصادر التي نشرت بعد ظهور مؤلف دوزي وقد استفاد منها لافي بروفنسال في تاريخه ، وهي معروفة واكثرها وصفه المستشرق غونزالس بالنسيا (González Palencia) في لائحة المراجع التي اضافها الى تاريخه الاسباني الاسلامي . وحسبنا الاشارة الى ما ظهر منها ، بعد السنة ١٩٣٢ ، اي بعد ان نشر لافي بروفنسال مؤلف دوزي المجدّدة طبعته . واليك اهمها :

– المقتبس لابن حيان وقد استفاد المؤلف من مخطوطته ، ولكن ما كتبه على مملكة عبدالله رجع فيه الى الجزء الذي نشره المرحوم الاب ملكيور انطونيا (Melcor Antuña) سنة ١٩٣٧ .

– الذخيرة لابن بسام . وفيها نشر جزء من تاريخ بني عامر لابن حيان ايضًا . اما الاجزاء الباقية فهي الآن قيد الإعداد.

– ابن الخطيب : ١ً الاعمال وقد نشر المؤلف جزءًا منه . ٢ً الاحاطة ، وقد استعمل من الكتاب مخطوطة الاسكوريال .

والكتاب الذي نحن بصدده مزين بثمان لوحات مصورة تصويراً مبتكراً . اضف اليها تسع خرائط جغرافية واربعة جداول للانساب وفهرساً ابجدياً كاملاً . هذا وكل حدث او جزء يستحق الذكر قُدّم عليه بعرض للحالة ليس بالطويل المملّ ولا بالقصير المخلّ .

واذ نجتاز اقسام الكتاب الى الكلام على ميزاته الداخلية، ترانا مضطرين الى القول ان بين يدينا تاريخاً جهد صاحبه في تمحيصه حتى اخرجه الى الملأ كتاباً حيّاً كاملاً متناسب الاوضاع ، وقد نظمت كل مادّة من مواده في موضعها ، بعد تقرير قيمتها ، بالرغم من كثرة عناصره وخطورتها وتباين مصادرها . واذا جرت المقابلة بين هذا التاريخ وتاريخ دوزي كان الاول (اي هذا) اكثر توازناً في الاجزاء من الآخر الذي يسهب في بعض المواد ويوجز في بعضها الآخر . ولم يعرض المؤلف لتحرير الحوادث الّا وقد وطّأ لها عن ادراك وبصيرة ، مظهراً تطوّرها مميّزاً عللها واسبابها ، متعمقاً في معرفة عوامل الاشخاص النفسيّة وطباعهم الخلقية . وهذه الحسنة يقدرها له العارفون ، لكثرة ما يُرى اليوم من اهمال بعض المراجع لهذه الناحية في المؤلفات التي تهم القراء المعاصرين سواء أسكتت عنها ام ذكرتها لغايات في النفس .

كان دوزي قد تعرّف الى الكثير من تلك المراجع ، واستفاد منها ، شأن غيره ممن سار على خطته . اما العلامة لافي پروڤنسال فقد اضاف الى ذلك الاستفادة من مصادر كانت لا تزال مجهولة حتى الى عشر سنين خلت ، او من كشفه عناصر جديدة في نصوص معروفة ، ولم يكن العلماء بعد قد اعملوا فيها الرويّة ، ولا اهتموا بعرضها على محكّ النقد . من هذه المصادر ما كان بعض العلماء الاسبان والفرنسيون قد عنوا بنشرها اجابة لدعوة المؤلف الذي كان اول من وجهها اليهم في هذا المعنى .

اما اسلوب الكتاب فمن الانشاء القصصي اللذيذ اودعه مؤلفه ملاحظات مقتضبة قيمة على المصادر وحالتها وقيمتها والحوادث ومراميها . ولا عجب ،

– عدة اجزاء او بقايا تاريخية نشرها لافي پروڤنسال .

– مؤلفان لم يطبعا بعد ، ومنها مخطوطتان بيد المؤلف نفسه . وهما : جمهرة الانساب لابن حزم ، وتاريخ الناصر لمؤلف غفل .

والرجل معروف في عالم الادب وقد عالج التاريخ بنظرات فلسفية خاطفة ، فلم يألُ جهدًا في ابراز الحوادث بصورتها الصحيحة ، مستندًا في ذلك اما الى الحواشي واما الى كتاب دوزي فيا يرويه من حكايات طريفة ليس لها علاقة بالتاريخ ذاته. ونرى في الحواشي[1] التعليمات والتدقيقات والمناقشات فضلًا عن بعض الافتراضات – التي يظهر ان المؤلف قليل الميل اليها – خاصةً في ناحية تقويم الازمنة واسماء الامكنة والاعلام. ولا يسعنا الا الاشارة الى تضلع المؤلف من درس مواقع الامكنة في اسبانية الاسلامية فانه قد عرفها معرفة شاهد عيان.

ولا ريب في زيادة شوقنا لمطالعة كتابه حين تقع فيه تحت لحاظنا صور فنية للاشخاص استصنعها المؤلف مصورين من المهرة بعد ان قدم لهم عنها المعلومات التاريخية.

---

١) وهناك من المستغربات ما يتخذه المؤلف وسيلة ليسرد الحوادث الطريفة او ايبين من مظاهر الحياة ما يزيد في دقة الحديث ، مثال ذلك تعداده التحف والهدايا التي قدمها احمد ابن شهَيد ذو الوزارتين الى الخليفة الناصر. فقد تبين الى ايّ درجة من الغنى والثروة كان وصل في ذلك العهد لا العامل الاموي فحسب ، ولكن ممثلو الاسر العربية النبيلة الكبرى ، وهذه لائحة تلك الهدايا: اهدى الوزير الى مليكه ٥٠٠ الف مثقال من الذهب نقودًا و ٤٠٠ اقة من سبائك الذهب ، و ٢٠٠ كيس من سبائك الفضة المقدرة قيمتها بـ ٤٥ الف دينار – كمية من عود الند الثمين المستعمل وقودًا للمجامر – مسك – كافور – ثلاثون قطعة من اقمشة الحرير المزركشة بالذهب – خمس حلل فاخرة ثمينة – عشر فراء سبع منها من جلد الثعلب الخراساني الابيض – سبع حلل من حرير عراقي – ٤٨ ثوبًا لملابس النهار – ١٠٠ ثوب لملابس الليل – مئة جلد سمور – ٦ خيم للسرادق – ٤٨ قطوعًا حريريًا مزركشًا بالذهب – ٤ آلاف اقة حرير مغزول والف اقة من الحرير الخزّ لصانع الطراز الملوكية – ثلاثون بساط من الصوف – مئة سجادة للصلاة – ١٥ بساطًا من حرير – مئة شكة للايام الاحتفالية – الف ترس – مئة الف سهم – مئة حصان ١٥ منها اصيلة وخمسة بعددها وسروجها المدبّجة – خمسة الاف بغل من البغال الغالية الثمن – ستون عبدًا: اربعون من الذكور وعشرون من الاناث – كمية وافرة من الحجارة والخشب لبناء القصور – وهذه العادة اي ان يقدم الموالي لسيدهم الهدايا كانت شائعة دائمًا في الديار الاسلامية ، ولا يسعنا الا ان نجد علاقة ما بينها وبين النظام الذي نشأ بعد حين في شراء الوظائف بالمال.

اضف الى ذلك ان الخليفة نفسه كان يغمر رجال بطانته بالهدايا ويعطي بيد سخية التقادم للبعثات العديدة التي كانت تتوافد الى قرطبة عاصمة مملكته حينًا من اسبانية وآونة من افريقية او بيزنطية او غيرها من الممالك الاوربية.

وقد ينال هؤلاء الاشخاص في تلك الاوصاف من سرد الحوادث المتصلة بهم فورًا ما ينعكس عليهم فتظهر منها اخلاقهم ظهورًا يزداد وضوحاً كلما ازداد البحث عنهم عمقاً[1] . ولقد رأينا هذا الكلام يصح تماماً خاصةً في تاريخ

---

١) هاك صورة عبد الرحمن الثالث كما برزت من ريشة لافي پروڤنسال : فهو مربوع القامة بل قصيرها وقد بدا قصره حتى على متن جواده . اما ما سوى ذلك من اوصافه فهو حسن الطلعة متناسب الملامح بعينين زرقاوين قاتمتين ، وشعر اصهب ضارب الى الحمرة ، وقد يصبغه بالاسود ليخفي لونه الاعجمي ، لانه ليس اموياً بل من صميم الاندلس ويجري في عروقه مزيج من دم اسيوي ودم اوربي.

كانت امه مزنة جارية من سبايا الافرنج وقيل انها غاسكونية ، كذلك كانت الاميرة اينيغة ابنة فرتون الاعور (Fortun le Borgne) جدة عبد الرحمن . وهذا كان في عنفوان شبابه الغض حين التي على كاهله حمل الخلافة الثقيل بعد موت جده عبدالله وهو يكاد لا يبلغ بعد سن الرشد. ولد عبد الرحمن هذا في ٧ كانون الثاني سنة ٨٩١ (٢٢ رمضان ٢٧٧) قبل ان يُقتل ابوه بنحو ثلاثة اسابيع . وقد شبّ مزداناً بافضل مواهب العقل والقلب . فكان مثقفاً حليماً كريماً حصيفاً متبصرًا في حقائق الامور ، شديد العزم والحزم ، لا تزعزعه الطوارئ مهما اشتدت . اضف الى ذلك طموحه الى العلاء وسعة نظره غير المألوفة عند العامة ، مما مكنه من بسط سيطرته على الفقهاء والادباء وكبار العمال في دولته . اما التديّن فلم يكن من الغلاة فيه ، وكانت مظاهر عبادته مدعاة لاجتذاب الاذهان اليه لا غير . وفي ما دون ذلك كان كثير التسامح بين الامراء من سلالته . ولسوف يشكر له المسيحيون واليهود ابدًا ذلك التسامح لانه ادّى الى اصلاح حالهم في ايامه ، وعلى ذلك رأيناهم يقابلونه جميعاً بخلوص الولاء والامانة وعرفان الجميل مما كاد يحدوه الى تولية احد المسيحيين المستعربين القضاء الاكبر في قرطبة لولا تظاهرة الفقهاء بالسخط عليه لو فعل . ولعلّ ذلك هو ما دفع بالقاضي السلام ابن عبد العزيز الى القول حين عرف بتحوّل عبد الرحمن عن فكرته تلك : « الحمد لله الذي جعلني في مصاف الذين يقولون : لا اله الّا الله » اي الذين يؤخذ القاضي الاكبر منهم.

وعلى تقدم عبد الرحمن في العمر ظل يفوق غيره من امراء المسلمين المعاصرين له بما كان يستشعره في ذاته من جلال الملك وهيبته وبما كان يبديه في مجالسه من التؤدة في الكلام واقامة الحجاب ووضع القوانين والانظمة للدخول على الخليفة ومخاطبته بالعظمة والاجلة. فاذا جلس للناس في ديوانه خلته احد ملوك القسطنطينية من القياصرة – ولا تشبيه اوفى للحقيقة من هذا التشبيه – على انه يتراخى عن ذلك القيد اذا ما اختلى الى اسرته في بيته ، فانه يتحدث اليهم عن بديهة ويضحك لنادمه ويجاوبه ، ولا يستنكف عن استعمال اللغة الرومانية شأن اهل بطانته ، اذا ما اتخذها آلة للحديث المجرد عن الكلفة وتبادل المزاح.

وقد اتفق المؤرخون من العرب قاطبة على مدح هذا الامير وتنزيهه عن كل نقد وذم. ذلك لما كان مزداناً به من المواهب النادرة التي ما كان مرور الايام الا ليزيدها لمعاناً ، وقد

المنصور حاجب ابي عامر المطاع الكلمة . لقد بلغ ذرى المجد بخطوات مشاها منذ نشأته من يوم لاحت على وجهه ملامح النجابة والطموح والفطنة والدهاء ، ولم يلبث ان تغلب في كل المواقع التي وقفت في طريق نجاحه . ولقد صدق المؤلف في تبيانه حصافة المنصور هذا والذكاء الذي عامل به الخليفة ، والفطنة والمداراة اللتين لم يتجرد منهما في اكثر مواقفه ، فضلاً عن تزويده ولده وخليفته بنصائح جد ثمينة وبوصية سياسية لخصها المؤلف مستنداً الى ما كتبه عنها ابن حيان.

ولم ينس المنصور استغلال الظروف في سبيل مصلحته فرأيناه يؤدي الاحترام للخليفة المجرد من سلطته ، ويفتك باقرب المقربين اليه ، اذا ما لقي فيهم مانعاً يحول دون البلوغ الى مآربه . واحسن لافي پروفنسال في وصف سلوكه الطريق المعبدة في السياسة . فذكر تفوق الحاجب في حل المشاكل التي كانت تخلقها له الملكة الوالدة واسمها « صبح » وهي من اصل عربي جرماني ، وكانت تحامي عن المنصور . وانتبهت اخيراً الى الدور التمثيلي الذي الجأها اليه ابنها ، وفطنت الى الوسائل التي استعملها بلا تورع ليتخلص من المصحفي الوزير الاول بعد ان وفق الى التزوج من بنت قائده غالب ، وهي سابقاً زوجة ابن المصحفي ، وقد يعادي المنصور غالباً ذلك الجندي الصدوق سند الدولة والخادم الامين للخلافة ، لانه لم يستطع احتمال تونيب ذلك القائد البالغ الثمانين عاماً من عمره . وقد لام الحاجب على تنكيله بالدولة وكلاهما مدين لها بما ناله كل منهما من رفعة وعظمة . وان في عزله الحاجب والجلوس مكانه في مدينة سالم ، وسلبه امواله ما دفع غالباً الى الثورة والعصيان ، فسقط في الحرب وترك بعده المجال رحباً للمنصور وحده .

لقد روينا هذه الحوادث لا لنبين فقط اسلوب المؤلف في سرده الاخبار متواصلة بالرغم مما يتخللها من وقائع وثورات ، ولكن لنظهر فيها ايضاً انموذجاً

ظهرت فيه في مطلع ملكه ورافقته الى نهايته في خلال ما يناهز النصف قرن . ومع ذلك لم يتمكن هذا الامير في خلال تلك الآونة من اداء رسالته بتمامها .

هذه صفحة اخذناها بكاملها عن المؤلف لانها تبين باجلى بيان ما نحن في صدده من صفاته الكتابية : الغنى بالمواد ، وحسن الاختيار ، وحسن فهم اخلاق الاشخاص ، وحسن الذوق في الانشاء . وفي هذا كفاية .

لتلك الدسائس التي لم تكن مختصة ببلاط بغداد فحسب بل طفت بدرجات متفاوتة على الخلافة القرطبية في طوال ايامها .

هذا وبعد ان تكلمنا عن اجزاء الكتاب واساليبه، لا نرى بدّاً من لفت النظر الى بعض صفات المؤلف في اسلوبه الانشائي التاريخي .

تلك امور كنا نوّهنا بها فيما قلناه سابقاً ، ونزيد الآن انه اي المؤلف لم يهمل فائدة من فوائد الجغرافية وعلم الآثر وعلم الاقتصاد وما له علاقة بالثقافة العامة الا واتى على ذكرها مع المراجع المتصلة بها والتي ينعكس منها نور على المسائل التي يحثها . نعم انه اجل الكلام في المسائل الثقافية الى مجلد آخر لكنه لم يترك فرصة تسنح الا القى فيها نظرات على حياة البلاط الداخلية ، وعلى انتشار الثقافة العربية في اسبانية ، وعلى العلاقات الفكرية بينها وبين بيزنطية وغيرها ، ولم يثبت امراً الا دعمه بالوثائق الكاملة .

ولقد نوّهنا بتضلعه من معرفة مواقع الامكنة ، فلم يذكرها الا بعد ان تفقدها بذاته وانعم الروية في آثارها ووثق منها . ذلك مما يمكنه من اعادة النظر فيما كتبه قبله علماء الاسبان او الاجانب عنها وتصليح آرائهم فيها ، وان كان المؤلف قد قبض على ناصية الموضوع فالفضل في ذلك لتمكنه من الاجادة في الكلام عنه الى ما شاء الله لولا اعتداله في التأليف — فلا يجازف في استعمال المصادر، وان يكن قد اكتشفها بذاته، بل يعرضها على محك الانتقاد مميزاً فيها النزعات سواء كانت مسيحية ام اسلامية . ولم يكترث لسكوت المؤرخين، ومعروف انهم في القرون الوسطى — كما في غيرها ايضاً — كانوا يهملون ذكر ما لا يروقهم من الامور واذا ما عنّ له ان يشك في حقيقة قضية جاء بالروايات المتنوعة، وربما اكتفى بان يؤدي معنى المصادر الجوهرية مع التلميح الى قلة ثقته في قيمة تأريخها للحوادث .

ان روح الانصاف في الكلام على العلاقات التاريخية بين الاسلام والمسيحية لم تكن سابقاً ، حتى في كبار العلماء المعاصرين، كما اصبحنا نريدها ان تكون اليوم . اما الاستاذ لافي بروفنسال فهو بمنجاة من النقد في هذه الناحية، وشتان بين زمانه والزمان الذي كانوا ينعتون فيه الاسلام ونبيه بنعوت لا يرضاها العلم . انه يعترف بنقائص المدنية الاورية ومجازفتها الفظيعة بحياة العباد . ولكنه ،

مع ذكره بطش الخلفاء وقساوتهم لم يهمل الاشادة بمحاسنهم وهذه كانت مع نقائصهم على طرفي نقيض، واليك مثال ذلك : ان عبدالله بعد ان امر بقتل ابنه محمد، شغف بحب ولد محمد نفسه، وكان قد ابصر النّور، عشرين يوماً قبل مقتل ابيه، فولّاه العرش بعده عرض اولاده. وهذا الطفل هو الذي عرف بعبد الرحمن الثالث الكبير، وان في ذلك تفضيلًا آخر لامراء بني امية في الحلم والسياسة لم يغفل المؤلف عن ذكره. ومن فضل العلماء الاسبان واخصهم كوديرا (Codera) وريبيرا (Ribera) وآسين بالاثيوس (Asin Palacios) انهم اظهروا الاسلام في نور جذاب، فسار لافي پروڤنسال واياهم في تلك الطريق. ثم انه اظهر تقوى الخليفة، المرتدي مع ذلك ثوب الرياء والدهاء — ذلك التناقض الذي نراه مترادفاً على مدى التاريخ الى يومنا — ولم يفت المؤلف وصف كرم عبد الرحمن وغيرته على الثقافة، والآداب، والفنون.

وطالما توخى المؤلف انصاف الاسلام في حقوقه التاريخية، فقام بذلك كلما اعانته المصادر التاريخية الصحيحة. واشاد بتسامح الاسلام الاسباني، ولا سيما في كلامه على اضطهاد المسيحيين المستعربين اهل قرطبة.

وقد اتت مكتشفات التاريخ الحديثة عن تلك الايام شاهداً على حسن العلاقات التي كانت تربط المسلمين بالمسيحيين في اسبانية، وكلما كانت ثقافة الناس عالية ابتعدوا عن التعصب الذميم. ومن الراهن ان الخلفاء كانوا يستخدمون المسيحيين واليهود، ولا غاية لهم الا خير الدولة. ولفت لافي پروڤنسال النظر الى اصل بعض امراء قرطبة ممن كان في عروقهم مزيج من الدم العربي الجرماني او الباسكوني وكانت تظهر في ملامحهم ملامح جدودهم. ومنهم كانت صبح « ام ولد » الشهيرة المذكورة سابقاً، ولم تكن الزوجة المسيحية الاولى ولا الاخيرة التي تزوجها امير قرطبة. وقد كان في بلاط عبد الرحمن الثالث رجل يهودي اسمه شبروت بن حصداي وكان شخصية بارزة، عُهد اليه بمهمة لدى ملكة تودا في بلاد نافارا Toda de Navarra أفضى اليها ووفق الى تطبيب ابنها سانشو الكرازو Sancho el Craso والى رده الى الصحة والعافية.

ولا ننسى معاملة عبد الملك المظفر ابن عامر الاعظم، كونت قسطيلية

سانشو غارسيا Sancho Garcia وملندو غونزالز Melnedo González وصي الفونس الخامس ملك لاون القاصر ، وقد تحاكما اليه ، وهو امير قرطبة . فارسل اليهما قاضي المسيحيين المستعربين فقضى بينهما وحسم الخلاف في مصلحة لاون . واظهرت بعض المؤلفات الحديثة ان العرب كانوا قليلي الرغبة في ادخال المسيحيين في الاسلام ، لان اعتناق المسيحيين للدين المحمدي كان يعود على الدولة بالضرر الاقتصادي ، لان الجزية التي كان يؤديها اهل الذمة كانت تتمهم بحريتهم الشخصية ، وان تكن تلك الحرية مقيدة ببعض القيود التي بلغت في بعض الظروف درجة جعلتها ممقوتة بنوع خاص . على ان تلك الازمة العصيبة لم تكن لتنسب اجمالاً الى امراء قرطبة واستبدادهم .

روى لاڤي پروڤنسال كتاباً ارسله لويس التقي الى مسيحيي قرطبة ومن خلاله ترى ان استياءهم من الدولة كان له في الغالب اسباب غير دينية . ولا عجب من جانب آخر ان لا يميز المسيحيون الخاضعون لنير الاجنبي بين العاطفة الوطنية والغيرة على دينهم في احتجاجاتهم على الدولة . وقد وفق المؤرخ لاڤي پروڤنسال الى وصف تلك الحال عن انصاف واعتدال . فقد اعترف بالصفات العالية والتدين الحار والاستبسال في سبيل المبدأ التي وجدها في الڤاروس (Alvarus) والوجيوس (Eulogius) وفلورا (Flora) وغيرهم ، لكنه لم يتحيّز لان موقفهم الاستفزازي لم يكن موافقاً لرأي الاكليروس في مجمع قرطبة الذي عُقد نزولاً على دعوة عبد الرحمن . وقد يكون من رأينا ان اسباب عدم موافقة المجمع على موقف المسيحيين المستعربين السياسي لامر لم تكشف معمياته كشفاً تاماً . ومن الممكن ان تكون الكنيسة قد اتخذت موقفها الى جانب السلطة واختارت بين الشرين اقلّهما . اذ لم يكن من جدوى في المقاومة . وان من عرف المزاج الاسباني وتذكر الحوادث الاخيرة في ايامنا هذه لا يسعه الا ان يقترح التحفظ في ابداء الحكم في هذا الموقف المالم .

وان ما عرضنا لذكره على جناح السرعة يبين الاعتدال والتحفظ والنضج في المؤلف التاريخي الذي عنينا بوصفه ، فضلاً عما يظهر في مؤلفه من اصابة الهدف والتنزه عن التحيّز . وهذا بيّن واضح في عدة ظروف اذا ما تكلم عن

بعض التقاليد العزيزة على الاسبان، والتي ساهمت في تكوين وجدانهم الوطني. واليك الامثلة على ذلك :

ان جهود كوڤادونغا (Covadonga) لاستعادة البلاد التي فتحها العرب كانت موضوع تحليل لاڤي پروڤنسال : بعد ان وفق الى معرفة بعض التواريخ ودرس آراء الباحثين فيها والمدافعين عنها لم يحجم عن الاعتراف بصحتها التاريخية من غير ان يهتم جزيل الاهتمام بالتفاصيل التي جاءت فيها ملهاة لخيال العامة ومن غير ان يكترث لهدمها . وقد يقدر قيمتها اذ يقول : انه من الصواب ان تنجلي بجالي الفخامة في شبه الجزيرة الايبرية تلك الموقعة التي يختلط فيها التاريخ بالاساطير . وفيها اول ظهور العاطفة الوطنية في اسبانية المسيحية . وهي ايضاً علامة سابقة للجهود التي ستبذل لتحرير اراضي شبه الجزيرة ، والتي ستتواصل الى اواخر القرن الخامس عشر مع ما يتخللها من ازمات ومهادنات .

اما وقعة قلعة الـ . . . (Calatañazor) التي قتل فيها المنصور الطاغية بعد ان ابيد عسكره عن بكرة ابيه فليس لها الحق بذكر التاريخ لما فيها من تناقض في التواريخ المذكورة اخذاً عن المصدر المسيحي الوحيد الذي يذكر تلك الوقعة . وهذا ما قد اخذ المؤرخون الاسبان المعاصرون يعترفون به بعد الاستاذ رامون مينندس بيدال «Ramon Menéndez Pidal» . وان لاڤي پروڤنسال قد يتجاوز الحدّ الذي بلغ اليه هذا العالم ، وهو القائل في تلك المعركة انها جاءت على هامش الزمن التاريخي ، وذهب يفتش عن اصلها الاسطوري في موقف الكونت سانشو غارسيا الذي حاز بعض الانتصارات فاتخذت الشاعرية القسطلية من ذكرها منوالاً نسجت عليه ملحمتها . فاجتاز المؤلف الى ابعد من ذلك وقال ان اسطورة قلعة الـ . . . اصلها المرجح انما هو في ذكر الهزيمة التي كاد يتكبدها المنصور في شهر تموز عام ١٠٠٠ اي لسنتين تقريباً قبل موته في مواقعة شرڤيرا (Cervera) . وقال المؤلف : «بالرغم عن عاقبتها الوخيمة على المسيحية الاسبانية، باتت تلك الواقعة لزمان طويل رمزاً لقوة ارادة قسطيلية ولاون وناڤار في مقاومة خطر المواجهة الاسبانية الاسلامية المحدق بها ، وذلك بفضل القائد الحزوم العامل الكونت القسطلي سانشو غارسيا» . فلا عجب ان جاءت الاساطير بعدها

تشيد وتفاخر بذكر تلك المقاومة وتلون مع الايام واداها بلون الحقيقة التاريخية . ولا يخفى علينا ان الكتبة الذين رووا الحادثة جاءوا بعد الواقعة بقرنين كما نبّه الى ذلك المؤلف . ومن جانب آخر قد تفيدنا الاشارة الى ان تقارب الموضعين الجغرافيين قد يكون سبباً لنشأة الاسطورة ، وليست قلعة الـ . . الا على بعد نحو ستين كيلو متراً من بينيا شرڤيره (Peña Cervera) ولعلها كانت على طريق رجوع القائد المسلم نحو ثغره الاقرب الى الحدود اعني مدينة سالم . وان هذه الرواية قد تكون انموذجاً لنقد المؤلف المدقق ولثقابة نظره التاريخي .

* * *

بعد ان وصفنا الكتاب الوصف السريع في هذه الصفحات ، نقول انـه سيبقى الى زمان طويل التاريخ الذي لا يفوقه غيره فيما يخص القرون الاسلامية الاولى في اسبانية .

لقد كان كتاب دوزي على مدى القرن تقريباً دستوراً للباحثين في هذه الناحية ، وعلى الاخص بعد ان اعمل لاڤي پروڤنسال فيه النظر والروية وجدد طبعته .

لكن هذا التاريخ الذي نحن في صدده فاقه ، ولم يفقده حقه من تقديرنا لان اوضاعه الجوهرية لم تتغير بالدروس الحديثة كما قال لاڤي پروڤنسال وكما هو بيّن مثلاً في الكلام على ملك المنصور من (٩٨١ الى ١٠٠٢) . وسوف يبقى مؤلف دوزي مرجعاً لمعرفة التفاصيل او للتطوّر الذي لم يرَ لاڤي پروڤنسال رأيه في اقتضابه . ولكن لا بد من القول ان بنيان لاڤي پروڤنسال بعد ان ارتفع على مواد وافرة كان الكثير منها مجهولاً على ايام دوزي ، ظهر اكثر التحاماً في اجزائه وجاء بنتيجة جهد جهيد وعقل ثاقب لم يتمتع بمثله المؤلف الذي سبقه .

نختم هنا مقالنا بالاعراب عن تمنياتنا بان يكمل السيد لاڤي پروڤنسال مشروعه فيأتينا بصفحة جديدة تصور الدولة الاسلامية الاسبانية تصويراً تاماً بعد ان تبسط تبسطاً واسعاً في سرد اخبارها التاريخية .

شذرات

شر السرقات الادبية سرقات المعلمين

داء السرقة والانتحال في الادب العربي داء قديم شاع في الجاهلية وكان ضرباً من ضروب الغزو والاغارة التي طبعت عليها سليقة الاعراب حيثما حلوا في البدو والحضر. ومع ان طرفة عد «شر الناس من سرقا» في بيته المشهور، فقد خالفه راوي كتاب «الكشف على مساوئ شعر المتنبي» للصاحب ابن عباد وقال: «اما السرقة فما يعاب بها لاتفاق شعراء الجاهلية والاسلام عليها ولكن يعاب ان كان يأخذ من الشعراء المحدثين كالبحتري وغيره جل المعاني ثم يقول لا اعرفهم ولم اسمع بهم.» (ص ١١)

وقد دان بحِل السرقة بعض المتأدبين الذين لا هم لهم الا تطلب الشهرة من اخصر طرقها فهم يؤثرون استلاب ما لغيرهم والتزين به لعجزهم عن البحث والدرس، واعتقادهم ان القراء لا يفطنون لمآخذهم وسرقاتهم. وكثيراً ما يأخذون المعنى واللفظ معاً، ويستعيرون الشواهد والحجج التي عانى المؤلف اشد المشقات في تطلبها والعثور عليها، فينقلونها بالحرف وينسبونها لانفسهم دون حياء كأنهم هم الذين تنبهوا اليها وتوصلوا بصبرهم وجلدهم الى استثارة دفائنها. ومن هذا القبيل ما فعله المعلم شكري محمود احمد بدار المعلمين الابتدائية في بغداد في مقالتين له الاولى «في الخمرة النصرانية في العصر العباسي» والثانية في «ليلة الماشوش» نشرهما في «الرسالة» المصرية في عددي ١ و ٢٢ من شهر سبتمبر — ايلول الفائت، ونسخ اكثر ما ورد فيهما من كتاب «الديارات النصرانية في الاسلام» الذي نشرته مجلة «المشرق» عام ١٩٣٨ واستمد منه كل ما جاء فيهما من نظم ونثر، ولم يزد عليه الا ما قل كابيات ابن مغرب العيوني. وعمد الى كثير من اشعار الكتاب فحلها نثراً في وصف الخمرة والاديار ونقل بالحرف ما فيه من حاشية وتفسير، وخرس خرساً تاماً عن ذكر الاصل الذي استقى منه كل اوصافه دون خجل ولا حياء، كأن الكتاب لم يكن ولم يظهر الوجود

وكأنه اغترف من بحر علمه واستوحى من صدره كل هذه الاقوال والشروح التي جمها مؤلف «الديارات» بشق النفس وطول المطالعة وتكرار المراجعة وكثرة التنقلات والنفقات في طوافه على خزائن الكتب في الغرب ، وهي التي اثارت حسد المعلم الاعرابي فوثب عليها واستاقها غنيمة باردة يفاخر بسلبهــا ويتزين بحلاها امام قرائه الغرباء وتلامذته الاغبياء.

ومن هذه الغنائم والاسلاب ما ورد في كتاب «الديارات» من بعض اوصاف مخطوطات نادرة وقف عليها المؤلف في زياراته خزائن باريس والڤاتيكان وليدن في هولاندة ونشر ما اقتبسه منها مع الاشارة الى مواقعها وصفحاتهــا وانفرد بالتنبيه عليها لاول مرة في «المشرق» و «الخزانة الشرقية» نظير كتاب «ادب الوزراء» لاحمد بن جعفر بن شاذان وكان منسياً في خزانة ليدن ولم يسبقه احد الى وصفه، ومثله ايضاً مجلد من شرح ديوان ابي نواس للاصبهاني في الڤاتيكان، وهو الذي نقل منه ابيات ابي نواس في دير نهرازان وكان اول من دل على الدير والابيات وهي غير موجودة في ديوانه المطبوع. واهم من هذين المخطوطين كتاب «دستور المنجمين» لاحد الشيعة وفق جداً المعثور عليه في باريس واهتدى في تضاعيفه الى احسن شهادة وردت قط للمسلمين في النصارى في اثناء الكلام على ليلة الماشوش. وقد اثارت هذه الشهادة اعجاب المستشرقين حتى اسف احدهم في بروكسل ان لا يكون مؤلف «الديارات» توسع في وصف هذا الكتاب الفذ الفريد وعرفه تعريفاً وافياً لما له من الخطر والقدر . وقد اغار المعلم شكري وهو جالس على عرشه في بغداد ونهب كل الفوائد والفرائد التي استخرجها مؤلف « الديارات » من هذه المخطوطات وغيرها دون ان ينبس ببنت شفة الى اول من نفض الغبار عنهــا كأنه هو تكلف السفر الى رومة وباريس وليدن وظفر بخباياها وابرزها لعالم الضياء والعلم .

وفعل المعلم مثل ذلك بما جاء في «الديارات» من نقد واستدراك على بعض اراء الاب انستاس الكرملي ووضع يده الخرقاء عليها واستلحقها طمعاً بفضلها دون ان يعزوها لخطيبها الاول ليوهم القراء وتلامذته انهــا بنت فكره وبصيرته ووليدة ذكائه وفطنته.

ولم تقف صلابة وجه المعلم شكري محمود عند هذا الحد من السرقة والاحتيال بل اقدم ايضاً على اتهام كتاب «الديارات» بالتحريف في ما رواه من اصل شرح ديوان ابي نواس للاصبهاني حيث قال يعني ليلة الماشوش «والنصارى لا تعرف بذلك» فزعم ان الاصل: «والنصارى لا تعترف بذلك»، وان هذا التحريف مقصود. فهل يا ترى رحل المعلم بنفسه الى باريس واطلع على الاصل المخطوط في خزانتها ليستجيز لنفسه مثل هذا الانتقاد والتصحيح واذا كان يدعي انه قرأ العبارة في نسخة وقف عليها في بغداد فذلك لا ينفي ابداً ان الاصل في نسخة باريس هو كما روى في كتاب «الديارات» وهو حجة عليه. والفرق على كل حال لا يتجاوز النقطتين وهو اهون من ان يحرف ويُخان فيه وكل يعلم ما في منهج «الديارات» من التدقيق والتوثق والتشدد في الضبط والامانة في النقل ونسبة كل قول الى قائله وموضعه ورقمه في كل خزانة فاية حاجة ترى كانت للمؤلف في ايثار «لا تُعرف» وهي في الاصل على «لا تَعترف» في زعم المعلم، ولديه ما يغنيه عن التبديل ويكفيه كل احتجاج ودفاع من شهادات المسلمين انفسهم وهو قول كتاب «دستور المنجمين» لاحد الشيعة:

« واما الماشوش فهو من تخريجات السفهاء. عليهم انها ليلة يجتمع فيها رجالهم ونساؤهم لطلب عيسى عليه السلام ثم يتهارجون كيف اتفق في الظلام ونعوذ بالله في التحريض على مُوالٍ او مُعادٍ وخاصة فرقة النصارى فسيرتهم — على فساد اعتقادهم — هي بلوغ النهاية في الصيانة والامانة والشفقة على الكافة. »

فاين هـذا القول الصريح والمديح الباهر من الفرق الذي لا يؤبه له بين «لا تُعرَف» و «لا تعترف» وقد نقل المعلم شكري من هذه الشهادة الرائعة التي تسد فم كل طاعن مغتاب وتلقمه الحجر كل ما احبّه من دعوى المهارجة واختلاط الرجال بالنساء ليوهم ان الشيعي لم يفه بشيء سواها واطّرح عمدًا وقصدًا كل الثناء على النصارى الذي نفى به معرة كل تهمة وافتراء عليهم. فمن المحرّف والمفسد يا ترى هل هو كتاب «الديارات» وقد روى بالحرف قول المسلمين بفساد اعتقاد النصارى ام معلم بغداد المتعصب الذي تحكم في نص الشهادة وخان كل ذمة وامانة في الرواية ولم يفطن انه بتخريجه الباطل قد زج نفسه

في جملة السفهاء الذين قضى عليهم «دستور المنجمين» قضاء مبرماً ووسم جباههم بالكذب والاختلاق ؟

ومما يدل دلالة قاطعة على سفاهة المعلم البغدادي وخبث نيته وما يكنّ صدره من الحقد والبغضاء انه تناول بيت جحظة في راهبات دير الملث الذي رواه ياقوت :

خفِرات حتى اذا دارت الكأ   س كشفن النحور والصلبانا

(ج ٢ : ٦٤١ طبعة اوربة)

فرفع منه لفظة الصلبان ووضع موضعها كلمة « السيقانا » جمع ساق ليتوصل بهذا التبديل الى نسبة الراهبات الى قلة الحياء والميل الى الفجور. ولم يقنع بمثل هذا التدليس والتزوير البذيء. بل شاء ادبه ان يدعي ايضاً في آخر مقالة الماشوش «ان بعضهم — ولا يخفى على احد من هو بعضهم — اخبره ان النصارى في عيد رأس السنة في هذا العصر يطفئون الاضواء في منتصف تلك الليلة مدة من الزمن فلا يرد احد يده عن شيء من قبلة او غمزة او غير ذلك مما يسمح به الوقت . » ومن قرأ هذا الافتراء والهذيان الذي يستحق ان يدفع بالقدم لا بالقلم وتذكر القول المشهور « المسلم من سلم الناس من يده ولسانه » يتحقق ان المعلم شكري محمود ليس على شيء من الاسلام الصحيح وانه بقية من بقايا معلمي الاولاد المشهورين قديماً بالحماقة والسخافة . والعجب من مجلة الرسالة بمصر كيف سمحت بنشر مثل هذه الاقذار وهي تعلم ما قد تجره هذه الاساءة من التفرقة وتهييج النفوس في وقت نحن احوج فيه الى التقارب والتآلف والتناصف وكيف تقبل دار المعلمين ووزارة المعارف ببغداد وجود معلم ارعن يعلم الناشئة والاولاد وهم رجال المستقبل مثل هذا التعصب والظلم والسرقات الادبية بدلاً من ان يحبب اليهم التسامح والسلام والاعتراف بالفضل حيث كان ويرويهم البيت القائل :

وليس يعرف لي فضلي ولا ادبي   الا امرؤ كان ذا فضل وذا ادب

وكل من طالع اشعار الشعراء المتطرفين في الديارات وانعم النظر في اوصافهم وروایاتهم يعلم ان كل ما زعموه من الاقوال والدعاوى وكل ما فتقت

لهم قرائحهم من المبالغات والتخيلات انما هو فن من فنون الشعر وضرب من ضروب الهزل والتفكهة يراد به الإغراب والإطراب فلا يجب ان يؤخذ على ظاهره ولا يُنزّل منزلة الصدق وتمثيل الواقع .وقد نبّه على ذلك العلماء والنقّاد وقالوا ان الشعر اعذبه اكذبه «وانما اكثره خدعة محتال وخلبة مختال جدّه تمويه وتخييل وهزله تدليه وتضليل» .ومع ان المعلم شكري محمود قرأ مثل هذا التنبيه والتوجيه في كتاب «الديارات» الذي اوسعه نهباً وسلباً لم يشأ ان ينقاد للحق ويصون قلمه عن كل مغالطة وخداع بل تعمد التحامل على النصارى وإقرافهم بكل ما جاء في ظاهر اشعار الحانات من اوصاف الخلاعة والمجون لينسب لرهبانهم وراهباتهم التهتك والبعد عن كل تصوّن وتعفف .فاذا جاز له مثل هذه المغالطات والتسليم بكل ما جاء في اشعار السكارى والمتطربين من هذيان وجنون صح لنا ان نعتقد صدق قول الخليفة بن يزيد :

فاخذنا قربانهم ثم كفّر نا لصلبان ديرهم فكفرنا

وقول عبدالله بن العباس بن الفضل :

أقمت بالدير حتى صار لي وطنا من اجله ولبست المسح والصلبا

وقول الكندي المنبجي :

ولقد سلكت مع النصارى كل ما سلكوه غير القول بالثالوث
بتناول القربان والتكفير للصلبان والتسبيح بالطيبوث

فهل يختار معلم بغداد تأثيم النصارى ولو بتكفير الخليفة وشعراء المسلمين اذا أخذ الشعر على ظاهره !

مكتبة المشرق

Francesco Gabrieli, *Storia e civiltà musulmana*. Napoli, Riccardo Ricciardi, Editore, MCMXLVII, in-8°, pp. 307. 400 lires.

في التاريخ والمدنية الاسلامية

لا يسعنا تفصيل الكلام في مضامين هذا الكتاب، لما فيها من تنوع. بيد ان اكثر ابحاثه كانت معروفة لدى المستشرقين، ولدى جمهرة المثقفين من الذين تهمهم شؤون التاريخ والثقافة. فجمعها المؤلف الى شتى الدروس في تاريخ الاسلام السياسي والثقافي. ومما يجدر بالذكر في هذا المجلد سلسلة ابحاث في الادب العربي المعاصر. ولا يخفى ان غبريالي من خير مَن يتذوق هذا الادب ولا سيما الشعر، وكفى بذكر منقولاته الى الايطالية عن القصاصين المصريين، ولا سيما كتابه في «المنتخبات من آثار مي زيادة» شاهداً على ذلك. وفيه مقارنات بين الثقافة العربية والثقافة الاوربية، كالبحث في «الف ليلة وليلة في الادب الغربي» و«الادب العربي والآداب الغربية» وعدد من الدروس في الآداب الاسبانية والايطالية في عهد السيادة الاسلامية، و«المعرّي والمسرحية الالهية». هذا الى تحليلات، ونقود، وترجمات عن الادب الفارسي (وتذوق الادب الفارسي من خصائص المؤلف) وتآليف في سير الاولياء المسلمين (الحسن البصري)، وفي التراجم (لورانس، كايتاني) وفي علاقات اليهود بالعرب من خلال التاريخ. كل ذلك يعرضه المؤلف في اسلوب انيق حافل بالرشاقة وافر الايجاز. وكل ذلك لا يخرج عن اختصاص غبريالي ولا ابحاثه العادية. ولهذا رأينا ان نلفت النظر الى بحث جديد في موضوعه وفي تاريخ تأليفه، وعنوانه: «المسيحية والاسلام في العصر الجديد». ولنشر اولاً الى ان المؤلف يترفع عن كل نزعة تعصبية على الاسلام، كما كان لنا ان نتحقق ذلك في علاقاتنا الشخصية به. فهو يتناول موضوعه بكل تجرّد، بادئاً بتلخيص الفروق العقائدية، بين الديانتين، منتقلاً الى وصف موجز للمناظرات والمجادلات المتتابعة من الجانبين على كثير من

الحماسة وقليل من البصيرة مدة القرون الوسطى؛ حتى نصل الى عهد الاشراق فيبدأ النظر الى الاسلام بشيء من التفاؤل . على اننا نتحقق منذ القرن السابع عشر من الناحية المسيحية ، مثلاً على الرغبة في معرفة الخصم قبل محاربته : هو مثل مراتشي (Maracci) في طبعته للقرآن وترجمته الى اللغة اللاتينية مع الرد عليه بالطبع.

ثم يشير غبريالي الى البوادر السمحاء التي قام بها الاحبار الاعظمون في زمننا الاخير ، والى العمل العلمي المخلص الذي تقوم به عدة مؤسسات كنسية في رومة ، فتولي الناشئة الاكليريكية نظرة موضوعية سمحاء على مشهد العالم الديني . ولا يسعنا الا تأييد هذا الحكم ، وقد حضرنا بنفسنا في « المعهد الشرقي » في رومة ، دروس « الاسلاميات » التي يلقيها كاهن ممتاز هو المونسنيور مُلّا التركي الاصل . فكان يتصف عرضه للعقيدة الاسلامية ، فضلاً عن موضوعيته وتجرده ، بصفات شائقة محببة .

وينهي غبريالي عرضه للبوادر المسيحية في تفهم الاسلام تفهماً صحيحاً بالاشارة الى التيارات العلمية المعاصرة المجردة يوماً فيوماً عن التحامل والتحيز ، وفي قمة هذه النزعة يرى المؤلف شخصيتين معروفتين بحبهما للاسلام هما أسين بالاثيوس وماسينيون .

وقبل ان ينتقل غبريالي الى الناحية الثانية فيحلل موقف الاسلام المعاصر من المسيحية ، يُقرّ بما تحدثه الحالة السياسية من أثر في هذا الموقف . ذلك ان « الخطر التركي » لم يبقَ منه الا الذكرى في نظر المسيحيين . بينا نرى الاسلام يعتقد دائماً بانه في حاجة الى الدفاع عن نفسه . على ان درس الحالة الراهنة يظهر ان ما كان يسمى « بالتعصب الاسلامي » قد يبدو على تضاؤل في المجال الديني ، سواء أكان ذلك نتيجة التمثل المطرد للعقلية الاوربية ، ام نتيجة فتور في العاطفة الدينية ، ام نتيجة النزعات العصرية في الاسلام الحالي . اما في الناحية الايجابية من حيث التفهم والاحترام ، والتنويه بالقيم الروحية الصحيحة على طريقة ماسينيون وأسين ، فلا يرى المؤلف ما يقابلها في الاسلام ، مبادلاً البوادر المسيحية السمحاء بمثلها . ويقول غبريالي ان الاسلام المعاصر تشرّب كثيراً من عناصر التقدم الاوربي ، الا انه لم يتعمق فيها حتى مجرى

الروحانية الذي كان يحييها في اول الامر على الاقل . واضف الى ذلك ان ما نحققه اليوم من ميل متزايد، على كونه مبرّراً، الى التكتل في كتلة من البلاد العربية – الاسلامية لا يرمي الى تسهيل هذا التفهم .

هذه المحاولة المخلصة السخية يقوم بها الاستاذ غبريالي تفرض نتيجة نرى استخلاصها واجباً من مقابلة موضوعية مجردة بين الموقفين، فتدل على تفوق روحاني في المسيحية سهّل لها الوصول الى اعمق ينابيع المثالية المشتركة . وليُجز لنا ان نميز قليلاً بين المسيحية والغرب، لانه، وان تكن المسيحية في اس ثقافتنا، الا اننا نشعر ان الغرب « المسيحي » قد ابتعد عن اصله وعن مثاليته .

اما سائر الابحاث في المجلد الحاضر فاننا نشير الى اثنين منها الاول: أثر الاغاني الشعبية العربية في الغنائيات الرومانية، وهو موضوع يناقشه غبريالي بتعمق وتوازن حتى يتخذ اخيراً الحل الايجابي الذي نشره ريبيرا (Ribera) واقره نهائياً مينندس بيدال (Menéndez Pidal) . والثاني يرمي الى اعادة حق الفردوسي الذي اجحف بقدره خطأً بعض النقاد المعاصرين، فقام غبريالي باظهار ما تحفل به « الشاهنامه » من نفحة شعرية وعاطفة وطنية، غير غافل عن الفروق بين هذا الاثر الشعري والملاحم المدرسية المعروفة . ا. ل.

R. Strothmann, *Die Geheimlehre Der Batiniten nach der apologie « Dogmatik des Hauses Muhammed » Von Muhammed ibn Al-Hasan Ad-Dailami*. [Bibliotheca Islamica. 11]. Deutsche Morgenlaendische Gesellschaft. Kommissionsverlag F. A. Brockhaus. Leipzig.

بيان مذهب الباطنية وبطلانه

منقول من كتاب قواعد عقائد آل محمد تأليف محمد بن الحسن الديلمي

عني بتصحيحه ر. شتروطمان . [النشريات الاسلامية لجمعية المستشرقين الالمانية : ١١] استانبول : مطبعة الدولة، ١٩٣٨ ص : يه + ١٢٨ ق ٨ كبير

الباطنية فرق اشهرها الاسماعيلية او القرامطة . وخصومهم الزيدية، وامامهم يحيى الذي حارب الاتراك واستولى على صنعاء عاصمة اليمن، وحارب الاسماعيلية

وغم الكثير من كتبهم وفيها الطعن في مذهب الزيدية . وكان احد علماء اليمن الزيدية الف كتاب « الحسام البتار في الرد على القرامطة الكفار » ولم ينجزه فجاء بعده في سنة ٧٠٧ هـ (١٣٠٧ م) محمد ابن الحسن الديلمي واتم الكتاب المذكور بتأليفه هذا . وهو كتاب ردّ وجدل ، فلا بد من اعتبار هذا المبدأ الحكم في النتيجة ، وهي واضحة في الكتاب . فانه يسمي الاسماعيليين اباحيين وملاحدة وزنادقة (ص ٢٤) ويفضح فسقهم في ليلة الافاضة (ص ٨٧) ويقضي بوجوب قتلهم ، وبتحريم موالاتهم ودفنهم في مقابر المسلمين الخ . . . وقد ذيّل الناشر هذا الكتاب بفهارس وتعليقات كثيرة الفوائد وفتح الثقافة العربية العامة ناحيةً كان يجهلها الكثيرون . فله الشكر .

ف . ت .

Agha Mahdi Husain, *Le gouvernement du Sultanat de Delhi.* in 8°, 113 pp. Paris, Librairie Orientale et Américaine. 1936;

حكومة سلطنة دلهي

مضى احد عشر عاماً على ظهور هذا الكتاب . والفرصة لم تفت للكلام عنه ، لما فيه من المراجع التاريخية ، وما يناله من الاهتمام في أزمة الهند الحالية ، وتكوين دولة الباكستان الاسلامية وعاصمتها دلهي . من فوائد الكتاب الممتازة اللائحة التي نظمها في احد ذيوله عن سلاطين دلهي من مماليك وخلجيين واسياد ولودي ومغول وسور ثم مغول من سنة ١٢٠٦ الى ١٦٢٧ وغاية المؤلف البحث في احوال مملكة دلهي السياسية والاجتماعية ، وقد يؤاخذ على اقوال من قالوا ان الملوك الخلجيين جاروا في تطبيقهم شريعة القرآن في الهند (ص ١١) وقال (ص ٧١) ان سلاطين دلهي على اختلاف اصلهم ومعتقدهم وثقافتهم ولغتهم عن الهندوس ، ما لبثوا ان امتزجوا بهم وصاروا منهم وفيهم . على ان التنظيمات الحالية في الهند وتقسيماتها تدعونا الى اعادة النظر في صحة ما قيل عن التآلف بين العناصر المنسوب الفضل فيه الى علاء الدين محمد وخلفائه . وعرّف المؤلف الى القراء الافرنسيين رحلة ابن بطوطة الى الهند وغيره من المؤرخين الهنديين في القرن الرابع عشر .

ف . ت .

GESCHICHTE ĠĀZĀN-ḪĀN'S, aus dem *Ta'rīh-i-Mubarakī-i-Ġāzānī des Rašīd Al-Dīn Faḍlallah B. Imād Al-Daula Abul-Ḫair.* Herausgegeben nach den Handschriften von Stambul, London, Paris und Wien, mit einer Einleitung, Kritischem Apparat und Indices. Von KARL JAHN. Luzac. [E. J. W. Gibb Memorial New Series, XIV]. London, 1940.

كتاب تاريخ مبارك غازاني داستان غازان خان

تأليف رشيد الدين فضل الله بن عماد الدولة ابو الخير

بسعي واهتمام وتصحيح اقل العباد كارل يان – ص : يب + ٣٨٧ + XIIV

هو رشيد الدين الملقب بالطبيب المؤرخ الفارسي الكبير · ولد في همذان نحو ١٢٤٧ ، وتعاطى الطب على ايام اباغا خان (١٢٦٥–١٢٨٢) وتصدّر الوزارة ، وخلف صدر الدين الزنجاني في وظيفة المؤرخ الشاهاني ، وبلغ عزه سنة ١٣٠٤ . رافق الشاه في حملته على بلاد الشام واحرز ثروة وافرة ، فانفق الكثير منها في المؤسسات الخيرية ، وخانته الايام فانحطّ عن عزه وخسر امواله ، وقُتل مع ابنه سنة ١٣١٨ ، واشتهر اسمه في الشرق والغرب بمؤلفه الخالد المعروف بجامع التواريخ وبتاريخ مبارك غازاني · وها ان السيد كارل يان ، في معالجته تاريخ وثقافة دولة غازان الشاه المغولي الفارسي ، رأى انه لا بد له ، لبلوغ اربه في الالمام بهذا الموضوع العظيم ، من ان يعود الى درس اصوله في كتاب رشيد الدين ويهتم بطبع ما لم يطبع منه مراجعاً مخطوطاته في استنبول ولندن وباريس وفينة . وقد قسم رشيد الدين تاريخه ثلاثة اجزاء : الاول في حداثة غازان واسرته ؛ الثاني في شؤونه السياسية ؛ الثالث في اصلاحاته · وان هذا الجزء الثالث خطير تقدر قيمته بما يحويه من التعليمات عن ادارة غازان وتنظيماته في دوائر السياسة والاقتصاد وبما كان له من اثر بعيد في تطور شؤون الدولة في البلاد الاسلامية في الشرق الادنى . ذلك ما دفع الناشر الى نقله الى اللغة الالمانية بترجمة كاملة . اما الجزءان الاول والثاني منه فاقتصر على تلخيصها بروؤس اقلام اشار الى مراجعها . وناهيك عما في الكتاب من حواش مفيدة وتعليقات قيمة وفهارس جعلته جديراً بان يحلّ محله في مجموعة جيب[1] .

ف · ت ·

١) راجع المشرق ١٣ [١٩١٠] ٥٥٠ .

Islam Ansiklopedisi, Islam Âlemi Coğrafya, Etnoğrafya ve Piyoğrafya Luğati. Maarif Vekilliginin Karari Ile Istanbul Universitesi Edebiyat Fakultesinde Kurulan Bir Heyet Tarafindan Tercume, Telif ve Nesredilmistir. I Cuz. Ab-Abdulkadir, 1940, Istanbul. Maarif Matbaasi.

دائرة المعارف الاسلامية

الجزء الاول : من اب الى عبد القادر

هي الموسوعة الاوروبية الشهيرة التي كانت قد باشرت تعريبها لجنة الترجمة والنشر في القاهرة ، ثم حذت حذوها لجنة التأليف والنشر في جامعة استانبول بامر وزارة المعارف ، ومساعدة اكاديمية العلوم الدولية .

لقد قابلنا بعض صفحات المتن الافرنسي بترجمته التركية في هذا الجزء الاول ، فاعجبنا بامانة الناقل بالرغم من المصاعب التي تحول دون التعبير عن الفكر الغربي بقالب شرقي . ويفيدنا في سياق الحديث الاشارة الى ما تكتسبه الثقافة التركية من اتخاذ الالفاظ الاجنبية على علاتها بلفظها الاعجمي، اذا كان اللفظ خير اداة لتأدية المعنى وضبطه،وقد سمت الكتاب انسكلوبدية واحسنت بتسميته ما دام الاقدمون لم يفكروا في تأليف امثاله في اللغة التركية فلم يحتاجوا الى وضع اسم له .

ومما يجدر بالذكر ما تضمنته المقدمة من الملام بتاريخ المستشرقين منذ ألكوين (٧٣٥-٨٠٤ م) في عهد شارلمان الى ايامنا ، ومن الكلام على المؤسسات الثقافية التي اثرت ثمارها الشهية في بلاد الغرب المسيحي ، واخصها كلية فرنسة ومدرسة اللغات الشرقية الحية في باريس وقد خرج منها علماء كدي ساسي سنّوا مناهج الاستشراق في عواصم اوروبة ، في الناحيتين التركية والعربية .

واهل حكم « المقدمة » في تعرض المستشرقين من اكليروس وعلمانيين لا يخلو من قصر في النظر ، اذ قال كاتبها ان دأب الاولين الدعاية الدينية والآخرين المصلحة السياسية . وقد يكون شيء من ذلك ، الا ان هذا لا يتنافى مع الطموح الى الغاية العليا ، وهي توسيع نطاق المعارف البشرية الداعية الى

تفاهم الامم وتوادّهم تحت راية العلم والثقافة التي تقرب بيننا جميعاً اذا ما قربتنا الى الله .

هذا وانا نشكر لناشري الانسيكلوبدية نشاطهم وغيرتهم ونتمنى لهم مواصلة اعمالهم الحميدة . س. ث.

Eugén Vroonen, *Les noms de Personnes en Orient et spécialement en Egypte*. Noms musulmans: Arabes — Turcs. Noms Chrétiens : Arméniens — Coptes — Grecs — Libanais et Syriens. Maltais, Noms Israélites. In-8°, XVI + 191 pp. Le Caire, Le Scribe Egyptien, 1946.

اعلام الاشخاص في الشرق

حاول المؤلف معالجة اسماء المسلمين والمسيحيين والاسرائيليين في الشرق الادنى ، في اصلها ومعانيها وانواعها واهميتها الاجتماعية ، مؤدياً به الدرس الى تحليل الاسماء في لغاتهـا الاعجمية ، مستعيناً بمن اشار اليهم في صدر كتابه من رجال ساعدوه في تعريف اسماء بني جنسهم . وان مادة هذا البحث الواسع اشبه بعشب امتلأت به الادغال فلا يتاح للمهتدي الى مسالكه فيها ان يرمي نظره بعيداً ويلمّ بلمحة البصر اطراف الافق . وما اصعب التبويب في هذه الانحاء ، لا سيما وان المؤلف لم يقتصر على درس الاسماء العربية ، وكل قسم منها جدير بان يستوعب التفتيش ، بل تناول بالكلام الاسماء المنتشرة في بلاد اليونان وتركية وسورية ولبنان ومصر ومالطة . ولا عجب ان تعثّر به القدم فيشتق اسم « اديب » العربي من ادبياس اليوناني (ص ١٤٩) وقـد يؤدي به تحرير الاسماء العربية بالابجدية الفرنسية من غير مراعاة اصول نقل الحروف الحلقية الى الالتباس بين ح وه وع فـالى التباس في المعنى ، فكتب نحول او نهول عوض نعـل ، ولو راعى المؤلف اصول هـذه الكتابة لما الجئ الى الاسهاب في التنبيه الى الفرق بين سبع وسابا (ص ١٠٦) وعواد وعوض . وقال عن خازن انه مبهم المعنى والخازن هو من يدخر المال للامير ولعل الخطأ سببه كتابة الاسم خازم (Khazem) .

وقال (ص ١٤١) ان الاسماء السورية واللبنانية كلها تقريباً عربية ولم يفطن الى مئات الاسماء المأخوذة من السكسار والتي يتسمى بها المسيحيون والعربية فيها قليلة . وقال ان الفاتحين لم يتركوا اثراً وهذا قول فيه وجوه لنظرات متناقضة .

هذه ملاحظات ابديناها على امل ان تفيد المؤلف في طبعة ثانية الكتابه النادر مثله في الشرق،الجم الفوائد في ايامنا ، وقد اخذ النظام الاجتماعي يتطور فيتمتع كل علم من الاعلام بميزاته الشخصية من غير الالتباس الذي ذكره المؤلف (ص ١٨٠) عن جريدة البصير ، والداعي . اصلاحه الى وضع تشريع جديد في هذه الناحية . وهو يختم كتابه بسرد مشروع قانون يفرض على جميع المصريين ان يختاروا الى جنب اسمهم الفردي اسم اسرة يعمل على التمييز بين الافراد . فيكون شأنهم في ذلك شأن الاتراك منذ السنة ١٩٣٤ .

ف . ت .

Lucien Rambout, *Les Kurdes et le droit.* [Collection «Rencontre» n° 24.] In-12, 160 p. Paris, Editions du Cerf. 1947. 81 fr.

الاكراد والحق

تحاول ثلاث من الدول ابتلاع تسعة ملايين من الفلاحين الموزعين على مساحة نصف مليون كيلومتر مربع ، تجمعهم وحدة اللغة ووعيهم القومي في تكوينهم اسرة روحية ذات اصل واحد . وكل دولة تسعى في تصغير شأن الاكراد ، كما لو كانت قلة العدد في الاحصاء تغير طبيعة المشكل السياسي والاجتماعي ، وليد القضية الكردية . جبلة امة هذا الشعب وليس من يزكي نارها ، غنية بلادهم وهي منبع لثروة الدول ولا اهتمام فيها بفتح المدارس او انشاء الطرق او تأسيس المستشفيات . وقد عاش مؤلف هذا الكتاب في تلك البلاد منذ عشرين عاماً ، وهو جدير بان يخبرنا عما رآه من حالة هذا الشعب التاعس بين تركية والعراق وايران ، وتحت نفوذ دولة اوروبية عظيمة سخرت الطائرات وقاذفات القنابل في تأديب ما سموه العصاة واكثريتهم من

المسلمين وبينهم المسيحي واليزيدي . ولا مبرر لاضطهاده أعبد الشيطان او لم يعبد ! لولا ان هناك قضية البترول ومرافقه بين البحر الاسود وخليج فارس .

ف . ت .

Jean-Mohammed Abd-el-Jalil, O.F.M., *L'Islam et Nous*. [Collection « L'Église et le Monde », I]. In-16. 61 pp. Paris, Ed. du Cerf, 1947.

نحن والاسلام

في نظر من يقدم من الغربيين الى ديار الاسلام موظفاً مقيماً او رحالة ماراً، يظهر الاسلام مُركباً غريباً ، فيبدو ، في آن واحد ، مفعماً بروح الايمان، ومجرداً من الاسرار التي تقرب ، في غيره من الديانات ، الخالق من خلقه ، فتجعل بينهما الصلات الوثيقة . هو يؤمن بالله ، ولكنه لا يؤمن بالفائق الطبيعة . وهكذا فانه يظهر للمدققين من النصارى قريباً جداً من معتقدهم وفي الوقت نفسه بعيداً جداً عن هذا المعتقد .

في سبيل شرح هذا المركب الغريب ، وضع هذا الكتاب بادئاً مجموعةً جديدةً من الدروس الدينية عنوانها « الكنيسة والعالم » . اما المؤلف فهو حضرة الاب جان محمد عبد الجليل ، المولود في مراكش ، والذي اهتدى الى المسيحية في اثناء طلبه العلم في باريس ، ودخل منذئذ رهبنة القديس فرنسيس الاسيزي . فهو عارف بشؤون موضوعه ، وافر الاطلاع على عناصر درسه . وهو يكتب للمسيحيين حتى يدفعهم الى ان يتفهموا الاسلام تفهماً أتم ، فيدروا بتزيد اهتمام وعطف المشاكل العالقة بتطوّر الشعوب الاسلامية .

وقد تناول اولاً بهذه « النظرات والايماءات » « العناصر الجوهرية التي تكوّن الاسلام » معنوناً فصوله الخمسة الاولى : « الاله الواحد الفائق السموّ — الخلق — الوحي — الانبياء — القرآن » مقابلاً هذه العقائد بما يماثلها في الدين المسيحي مشيراً الى ان الاسلام في إظهاره تفرّق الإله الواحد ، ينكر كلّ دور لوسيط الهي يأتي العالم بالنعمة .

ثم ينتقل الى وصف الحياة الدينية في الاسلام . واذا هي متصفة بالجلال والاحتفال . ولكنها قد تصبح ظاهرية ، آلية ، بسهولة . والاسلام لا يرى الا خطيئة واحدة غير قابلة للغفران هي خطيئة الشرك . فالله لا يغفر لمن يشرك معه غيره من الآلهة . اما ما سوى ذلك من الآثام فيغفره لمن يشاء . ويشير ، بعد ذلك ، الى القناعة في استخدام الخيرات ، الى الضيافة ، الى احترام العقود والاتفاقات ، الى الزكاة والمؤاساة ، التي يقوم بها كثير من المسلمين . اما العلاقات بين المؤمنين والله الواحد الفائق فليس لها الا موقف واحد هو « الاسلام » اي الخضوع المطلق . ولذا نرى الاسلام الرسمي ينفي كل امكانية – حتى من قبيل النعمة – ترمي الى معرفة الله والاتصال به بطريقة عميقة وثيقة . فيبقي النفس المسلمة محدودة في وحدتها وصغرها . ولا يخفى انه نشأ في الاسلام ، رداً على هذا الموقف الرسمي ، وتحقيقاً للميل الانساني الطبيعي الى الحياة الداخلية ، كثير من النزعات الروحانية كونت الحركة الصوفية التي قادت الى انشاء الطرق الدينية ، ولكن بعضها انحرف عن سواء السبيل ، على ما هو معروف .

ولا يقرّ المؤمنون أية سلطة دينية عقائدية عليا من شأنها ان تفرض قرارها على الجميع فتحفظ وحدة العقيدة والعبادة . وليس من شروط كي يبقى الانسان في الجماعة الاسلامية ، الا ان يقرّ بعقيدة التوحيد ، مهما يكن من مخالفته سائر المؤمنين في كثير من النقاط الدينية . على ان الاسلام يلوذ دائماً بحدود الوحي والتقليد ليدفع كل تجديد خطر . ولكن هذا لا يمنعه من الاخذ ببعض المبادىء التجديدية كنظرية المصلح او المجدد الذي يرسله الله « في فجر كل قرن » من امثال الغزالي في مطلع القرن الثاني عشر والشيخ محمد عبده في مطلع القرن العشرين .

ولا يخفى ان الشعوب الاسلامية تهزّها اليوم حركة مزدوجة تدفعها الى مزيد تعلّق بالاسلام ، والى رغبة في التجدد الداخلي . وها ان العربية السعودية ترمي الى الجمع بين صلابة الاسلام الاصيل والتقدم الآلي العصري . وها ان « اكثر البلاد الاسلامية – ما عدا ايران – تنظر الى بلاد العرب من خلال

مصر .» وان النص الذي يستشهد به المؤلف من نشرة « الاتحاد المراكشي » الظاهرة سنة ١٩٣٧ ليطلعنا على مطاليب الاسلام الفتي . فهو يدافع عن نفسه دينياً ، كما يدافع سياسياً واقتصادياً ، ضد اوربة المادية المستضعفة ، ويرمي الى ان يوحد بواسطة الثقافة والمساعدة المتبادلة بين الشعوب العربيــة في حوض البحر المتوسط ، وقد تخلصت من كل نير اجنبي .

اما دور المسيحيين فينبغي ان يكون بمساعدة الميول الصحيحة البنائيــة من هذه النزعات المختلفــة ، « تلك التي تهدف الى حياة روحية اوفر عمقاً ، والى فكرة في التوحيد اقــل سذاجة ، والى حياة محبة وصداقة مشتركة مع الآخرين » (ص ٥٦)

Bishr Farès, *Une miniature nouvelle de l'Ecole de Bagdad datée 614 hég. / 1217-8 figurant le prophète Muhammad.* [Extr. du Bull. de l'Institut d'Égypte, session 1945-1946].

صورة جديدة منمنمة تمثل النبي العربي

يتفق مؤرخو الفن الاسلامي على انه لا يبدو محتملاً ان يكون التصوير قد جرّب في صدر الاسلام وفي القرون الاولى منه ، ان يمثل موضوعات من التاريخ الاسلامي المقدس . وهم لا يعرفون محاولات لتصوير النبي ترقى الى مــا وراء القرن الثامن الهجري (الرابع عشر) وذلك في الفن الفارسي .

على ان الاستاذ بشر فارس وقف، في المخطوطة رقم ٥٧٩ ادب من المكتبة الوطنية المصرية ، المتضمنة الجزء الحادي عشر من كتاب الاغاني ، على صورة منمنمة ترقى الى القرن الثالث عشر المسيحي وتمثل اسقف نجران وعاقبها بين يدي النبي محمد . وتنتمي الصورة الى الطريقة المعروفة بالبغدادية . وان تكن اوجه الممثلين ، ولا سيما وجه النبي ووجه الملكين ، قد شوهت بالتلطيخ والحك من قبل النُعر على تحريم التصوير ، فان الصورة لم يتغير شيء من وضعها الاصلي .

وسينشر المكتشف درساً مطولاً للصورة في منشورات المعهد المصري .

قــدموس

لسعيد عقل

الطبعة الثانية ـ ١٢٦ ص. متوسطة ـ منشورات دار الفكر
بيروت ، ١٩٤٧ ـ الثمن : ٣٠٠ غ. ل.

في منتصف الالف الثاني قبل المسيح ، كان لِأَشْتار ، ملك صيدون ، ابنةٌ بلغت شهرة كمالها مسمع زوش ، كبير آلهة اليونان . فكان من همّ الإله الاعظم ـ ولآلهة اليونان هموم كما للبشر ! ـ ان يحصل على اورب بنت أَشْتار .

وعصارى يوم من أيام الربيع ، كان عذارى البلاط يمرحن على الشاطئ الارجواني بين صيدون وصور ، وقد أمِنَّ مفاجآت السماء للارض ؛ واذا بثور هائج يخرج مختالاً من احدى الغياض القريبة ، يخور وينعر متجهاً نحو سرب العذارى ، فيتبددن هالعات ، الا اورب . حتى اذا دنا منها الثور خرّ راكعاً على ركبتيه ، وقد أبدات عيناه بشرر المرح والاختيال ، صفاء الوداعة والطمأنينة . واذا بالاميرة تؤخذ بهذا التلطف ، فتركب رقبة الثور مستندةً الى قرنيه ، واذا بالثور يسرع نحو البحر فيخوض بها الموج حتى يغيبا ؛ واذا بالعذارى يذهبن مولولات الى قصر الملك أشتار .

ويكون لاورب اخوة سبعة يرسلهم ابوهم في طلب وحيدته ، آمراً ألّا يرجع الواحد منهم الا بأخته . ويكون انبههم ذكراً ، واوفرهم حظاً بلقاء اورب ، قدموس . فيتجه نحو الغرب ، فيصادف على ساحل البيوسي ذاك التنين الهائل فيقتله ، ويبذر اضراسه في الارض اليونانية ، فتنبت رجالاً من المردة يبنون ثيبة على انغام الموسيقى . وبفضله يعرف الغرب حروف الهجاء التي ابتدعها قومه قبيل ذاك العصر . اما اورب فلا تعود ، ولكنها تخلد ذكراها باسم الغرب أجمع الذي دُعي اورب منذ ذلك الحين .

❦

هذه خلاصة الاسطورة اليونانية التي لمت بها عبقرية الشاعر الفنان ، فولدت في المسرح قطعة لا يخجل الفن بأن ينعتها بالمأساة الحق ، وأخرجت في الشعر العربي رائعة طالما تاق الى مثلها ، ودونت في الوطنية اللبنانية وثيقة لها ما بعدها .

اما المسرح العربي فيغتبط بأن عين لبنان لا تزال تكلأه . هو الذي خطا

خطواته الاولى في العاصمة اللبنانية – والذي تحتفل العاصمة اللبنانية اليوم الى الاحتفال بمرور مائة سنة على مولده – يرى نفسه متجهاً نحو النضج والكمال في الارض نفسها ، بعد ان تقاذفت به المقادير في أنحاء العالم .

قدموس مأساة . فلها من المأساة جلال القدم ، وكمال التعبير ، ووحدات الفن المسرحي المدرسي . اما جلال القدم – وعصرها اقدم من عصور المآسي اليونانية بمئات السنين – فقد افاد المؤلف ذاك الجو الحافل بالابعاد ، المضمخ بالاعلام العريقة ، المثير آفاقاً لا حدود لها تتأرجح ابداً بين الزمان والمكان . ومن حسنات القدم كذلك ان الشاعر تخلص من مشكل اللغة العالق ابداً بالمسرحيات العصرية ، فواجع كانت ، ام مهازل ، ام مساخر سينمائية .

واما كمال التعبير فسنعود اليه في كلامنا عن الشعر في قدموس .

واما الوحدات فأولاها هذه الوحدة المتماسكة المتشابكة في العمل المسرحي . لم تبقَ قدموس تلك الاسطورة البسيطة ، بل تجسمت عملاً قوياً يتصارع فيه قطبا الحياة البشرية : القدر والسعي ، القدر السائد المسيطر ، والسعي البشري الدائب ، القدر الاعمى تمثله بلاد اليونان المستسلمة ، فهي

. . . نؤلههم كثراً ويودي بهم ، وبالعرش ، واحد ،
ألمجلي عليهم ، ذلك الاعمى ، وليُّ المصير ، رب الجلامد .[1]

والسعي البصير تمثله صيدون رائدة البحار ، مستعمرة الجزر ، بانيةُ المدنيات ، زارعة الحواضر في المجاهل ، حتى حقّ لها القول بلسان ابنها قدموس :

شأ تزلزل دنيا وشأ تبنِ دنيا[2]

وهي ، وان جابهها الغرب بضخامته وجبروته ، بحقده وشدة وطأته ، بذاك التنين الذي قال عنه زوش :

«أمرٌ من إنسانِ
مُغلقٌ إن يبنِ فأظفارُ ليثٍ وجَناحَي نسرٍ على أفوانٍ . . .
ينفُثُ النار من حديد لسانٍ ويَفتُ الصخرَ الاصمَّ بنابِه ،
إن ينفض جناحه ينتن الوردُ ويسودّ زنبقٌ في شبابه ،
أو يُدِرْ طرفه يصبّ هجيراً في عليل الصَّبا ويجترّ نارا ،

[1] ص ٣٦
[2] ص ٤٥

راح اعمى عن الخليقة يلتذّ — إن التذّ ، جيفــة ودمارا .»[1]

لاقته بالعزم الثابت ، والصدر الرحيب ، تنزع الغلّ وتأسو الجراح ، تغالب المداوة وتبقي على العدوّ المستقيد ، لا تقصد الحرب الا دفاعاً واباء.

هذا النزاع المزدوج يتغلغل في المأساة كلّها ، فيدرك قدموس قمّة مجده ساعياً فيقتل التنين ، ولكن القدر يغلبه على اخته فتروح ضحية هذا المجد ، واذا به يختتم المأساة ، وقد اشار الأعمى الى قبر اورب متشفيًا ، وهتفت مرى شاخصةً الى اسوار ثيبة تشيد ملك صيدونيا ، فيصيح قدموس:

قسمتنا من هداية وفتوح :

نحمل الارض إن نشأ ، فوق كفّين ؛ ونمضي كريشةٍ في الريح !»[2]

اما القلق المسرحي الفاجع – وهو السرّ في كل مأساة – فقائم على مصير قدموس لو تغلّب عليه التنين ، وعلى مصير اورب لو تغلب قدموس على التنين فقتله . والتنين حامي المليكة من غضب الإلاهات الغُيرُ اقامه لها زوش حارساً وقال لها : انت حيةٌ ما دام حياً . واورب عارفةٌ بذلك وعارفةٌ ببطش اخيها ؛ فهي تتأرجح ابدًا بين الامنيتين هالعةً من تحقّق ايةٍ منها:

يا لسهمين لوّحا ، فأذلا — في سماواتها عُلى عنفواني :

من يُصبني أقُل له عند قبري : — «لِمَ يا سهمُ أنت ! دون الثاني ؟»[3]

واما وحدتا الزمان والمكان فقد انقادتا للمؤلف من نفسيهما ، فكانتا طبيعيتين . وذلك ان العمل الخارجي في موضع المأساة لم يعدُ تنفيذ العزم الداخلي نتيجة تلك الازمة القلقة ؛ وبالتالي فهو لا يحتاج الا الى المكان الواحد ، ولا يلزمه من الزمن الا الساعات المعدودات .

وبن الحق أن نشير ، في درس الموضوع ، الى توفقات المؤلف في العود بالاعلام الى أصلها السامي . فهو لا يقول اجينور مثلاً بل أشنار ، ولا أنيبال بل هنيبعل ، ولا زوس بل زوش . وكذلك القول في الاعلام الجغرافيــة .

---

١) ص ٢٢–٢٤

٢) ص ١٢٥

٣) ص ٦٥

فحبذا لو ادرك الاسم القديم ابدله بالحديث فقال: الاشبون لا الدردنيل، وقال الهرقليات لا جبل طارق، وعلى هذا قال: القسيتريد، وقبة، وقيثيرية . . .

وليست هذه المظاهر من الهنات البسيطة. انما هي من كمال الفن في وضع القطعة موضعها من التاريخ. ولعل اهم ما في الامر انه لم يستعمل كلمة «فنيقية» مرة واحدة. ذلك ان «فنيقية» لفظ اجنبي متأخر. فمال عنه المؤلف الى كلمة «صيدون»، اذا اراد تسمية المملكة، والى كلمة «لبنان»، الواردة في ملاحم اوغاريت، اذا اراد ذكر الوطن.

ويضيق هذا البحث عن تفصيل الصفات الشعرية في قدموس، وهي بجملها اروع ما نشر سعيد عقل حتى اليوم. فحسبنا الإشارة الى ان الفن المسرحي يستند فيها الى النفس الملحمي الرصين، والنغم الغنائي الناعم. ليعد القارىء الى صلاة يمرى، مرضع قدموس واورب (في المشهد السادس من الفصل الثالث)[1]، وقد خافت كيد الافعى ودسّه، وليفكر مخلصاً هل يرفع الى الله في اشد ازماته، صلاة احنّ وارقّ، واخلص، وارفع بالخليقة الى الخالق! وليعد الى وصف يمرى اختطاف اورب، والى مناجاة اورب لوطنها الاصيل، والى ندبها مستقبلها امام يمرى، فيعود بمقاطع من اروع القصائد الغنائية في الشعر العربي.

اما اذا شاء القوة الملحمية في وصف المشاهد الحاسمة، فليسمع وصف اورب اخاها متقدماً لالتقاء التنين، وأوله:

رَمقته عيني فيا بُؤس عيني! يَقحم الموتَ، عهدَه وهو قانصْ،
يضحك الضحكة المُرنّة كالسهم ويجري كرعدة في الفرائص.
حمّل الريحَ وَقْعه، فظننتُ الشطَّ يصغي، والبحرَ بمروه همدْ،
والصباحَ المفوحَ في نجم الامواج يعلو، كمن أطلَّ ويشدو[2]

وهذه يمرى تصف ضربة قدموس ببيتين يدوّي صداهما في الصدور

هاج يكـوهما المجاج، فلم أبصر سوى السيف صاعناً كالضمير،

[1] ص ١٠٦ – ١٠٨

[2] ص ٩٤ – ٩٥

والاساطيرُ حول ضريته تولد في الصخر ، في الربى ، في العصور(١)

ولا يتسع بنا المجال لنقل قدموس بكاملها. فلننحدر من هذا الجوّ الشعري الى حضيض اللغة فنرى انها افادت اشياء على يد سعيد عقل . منها تلك المرونة في التعبير الشعري يتناول الصيغ جميعها ، ويهزأ بالقوالب المكرَّسة ؛ ومنها جرأة في التعبير أهابت باحد شعراء الاقدمين فقال مرةً :

ما انت بالحكم التُرضي حكومته . . .

فقامت عليه قيامة المتحكّمين بالافصاح عن الفكر ، فنفوا متن الاسلوب الرسمي مثلَ هذه الجرأة . فلجأت صيغة « الترضي حكومته » الى التعبير الطبيعي العامي ، وظلّت في الاستعمال اليومي ، حتى جاء شاعر قدموس فاعادها الى مركزها قائلاً :

باركتك اليد الأهلَت على الثغر ، عطاء فاطِلْ الثغر حالِ .
ألسَّخَت ، أوّلَ الزمان ، على خصب بلادي بالغيثِ المحراثِ ،
آلقِ الخير بخلتُبها تتحدّى ان تفنَّ الدنى برزق بُناثِ(٢)

هذه نماذج متفرقة من نصيب الفن المسرحي والشعر العربي في قدموس . واما نصيب لبنان فهو كل شيء . وما هذه المأساة الا خلاصة المجد اللبناني القديم يجهر به قدموس امام العرّاف اليوناني الأعمى ، قبل ان يقاتل التنين ، وخلاصة العقلية اللبنانية تُعلنها اورب تارة ، وهي طوراً في ابيات ينبغي ان تكونَ في قلب كل لبناني :

يصيح قدموس بأخته اول ما يلتقيان فينكرها :
لستِ منّا

فتقول اورب مستعطفة :
رحماك !

فيجيب :
رحمى لمن تخفض امجادها وتنسى الودادا ؟

١) ص ١٠٩
٢) ص ٣٠

اورب

ضقتمُ بي ؟ ورحمةٌ من بلادي تسعُ الارضَ حيَّها والجمادا ؟

قدموس

أبلاد عُقّت وظلّت على العهد ؟

اورب

بلادي انا ، ولبنان عهدُ !

ليس أرزاً ، ولا جبالاً وماءً وطني الحبُّ ليس في الحبِّ حقدُ ،

وهو نورٌ فلا يضلُّ : فكدُّ ويـدٌ تُبدعُ الجمالَ وعقلُ ،

لا تقل : « أُمتي » ، وتسطو بدنيا نحن جارٌ للعالمين وأهلُ .[1]

أوَلا تثبت هذه الابيات شخصية لبنان الخالدة ، المستمدة الحياة من إرث متطاول التقدّم ، واسع الآفاق في المستقبل ، تلك الشخصية التي دفعت المؤلف الى القول في مقدمته ، بل في « خلاصته اللبنانية » :

« سوف يكون لبنـان ، بحكم إرثه ، هدياً لكل مستهدٍ ، ومدرسة حبّ لكل مبغض ، وسعة لكل ابن حق ضاق به صغر الارض . »[2]

أوَلا تنهر هذه الابيات اصحاب الدعاوات العصرية من ذوي النية الصالحة والغيرة الجاهلة الذين لا يذكرون ، اذا تكلموا عن لبنان ، وكثيراً ما يتكلمون عنه ، الا موطن الاصطياف والاشتاء ، ومصحّ ذوي العلل المتنوعة ، حتى يكاد العالم لا يعرف عنا سوى الجبال الشامخة ، والمناخ الجيّد ، والهواء العليل ، والماء السلسبيل .

بينا نرى لبنان بوجهه الصحيح في اشخاص هذه المأساة يحملون رسالة نيّرة هادية « هدتنا اليها ستة آلاف سنة من الصبر ، والفكر ، وامتهان المادة ، والكفران بالذات ، والتطلع الى فوق ، والتريّث بالبادرة قبل وعي لكلّ ، رسالة فذّة في العالم تحوّلنا لبنة العالم . »[3]

✽

بقي ان نسأل : هل يجوز للشاعر المسرحي ، أن يدعو ، في مسرحيته ، لوطن او لحزب او لفكرة ؟ او لم يخفق مسرح اصحاب الدعاوات في الغرب

١) ص ٨٦ – ٨٧

٢) ص ٢١

٣) ص ٢٢

والشرق! بلى عندما تكون الدعوة ملصقة بالموضوع إلصاقاً ، وعندما تكون القطعة المسرحية مؤلفة في سبيل دعوة لاسند لها في التاريخ .

اما اذا كان الموضوع نفسه تريخياً لا يتجاوز فيه المؤلف سمت التاريخ فليس هناك من افتئات على الحقيقة ، بل ليس هناك دعوة بالمعنى العصري .

انما هو تاريخ ، علقت به الاسطورة ، ومهرته العبقرية ، فتجسّم في قدموس مفتخراً بحق :

تزرع المدن تزرع الفكر في الارض ، وتغني في الفاتحين مثالا ،
وغداً تعرف الحضارة في صيدون أماً فتنحني إجلالا (١)

نذكر هذا ولا نخشى غيرة سائر المدن اللبنانية من صيدون ، على أمل ان تنال كلّ منها قدموسها .

٥

وخلاصة البحث أن الفنّ المسرحي يعود من قدموس بمأساة أصيلة ، ويعود الشعر العربي برائعة من اجلّ روائعه ، ويعود لبنـان بدستور وطنيته البصيرة المدركة ، مطمئناً الى ان نسل القدامسة لم ينقرض !

ف . ا . ب .

كتاب نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد .

تأليف : احمد بن المهدي الغزّال — نشر : الفريد البستاني

منشورات مؤسسة الجنرال فرنكو للابحاث العربية — الاسبانية : السلسلة الاولى : رقم ٢ — تطوان (المغرب)

20 + ١٠٢ + 15 ص . كبيرة — مطابع الفنون المصوّرة ، العرائش (المغرب) ، ١٩٤١

مؤلف هـذا الكتاب احمد بن المهدي الغزّال الحميري الاندلسي ، المتوفى سنة ١٧٧٧ ، كان كاتباً لمولاي محمد بن عبدالله سلطان المغرب في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، وسفيراً له لدى كارلس الثالث ملك اسبانيا ، في السنة ١٧٦٦ — ١٧٦٧ ، وكان الى ذلك اديباً شاعراً ومنشئاً خبيراً بأساليب البلاغ

(١) ص ٤٧

المرونة وانواع النظم المتناقل. وقد ترك مؤلفات عدة نظماً ونثراً لعل اجدرها بالذكر، وابقاها على الزمن، هذا الكتاب الذي دوّن فيه ما وقف عليه في البلاد الاسبانية، في اثناء سفارته، من مرافق العمران ومراتع المدنية، وما خبره من اخلاق الاسبان وعاداتهم، وما شاهده من آثار العرب الباقية في تلك البلاد. واضاف الى كل ذلك ملاحظاته، ومذكراته السياسية، ونتيجة محادثاته مع كارلس الثالث ملك الاسبان.

وظلّ الكتاب مخطوطاً في عدة نسخ منها المشوّه ومنها الناقص، حتى وقف عليها الاستاذ الفريد البستاني فقارن بينها، مستنداً خاصة الى مخطوطة مكتبة مدريد الاهلية وهي اسلمها، وقابل، وحقق، وتتّبع الوثائق والسجلّات المتنوعة في موضوع سفارة المؤلف واحوال القطرين في زمنه. فامكنه ان يخرج هذه هذه الطبعة النفيسة، مزدانةً بمقدمة واسعة في المؤلف وكتابه، وبنبذة تاريخية في ترجمة مولاي محمد بن عبدالله، وفي احوال المغرب ومظاهر الثقافة العربية في عهده، وبجداول وفهارس تاريخية جغرافية، مشروحة فيها الكلمات العويصة والدخيلة، والالفاظ والمسميات الاعجمية، والتعابير الوضعية المصطلح عليها بالمغرب، مع نقل الاعلام الى ما يقابلها باللغة الاسبانية القشتالية. هذا الى رسوم وصور وخرائط متنوعة، ومقدمة ضافية باللغة الاسبانية عرّفت الكتاب الى غير قرّاء العربية في الغرب واسبانية. واذا به دليل جديد على اجتهاد الناشر الاديب، ومأثرة جليلة لمؤسسة الجنرال فرنكو.

كتاب مساند الائمة

لمولاي محمد بن عبدالله — نشره الفريد البستاني

منشورات الجنرال فرنكو للابحاث العربية — الاسبانية: السلسلة الاولى: رقم ٣ — تطوان (المغرب)

ك٤ + ١١٠ ص. كبيرة — مطابع الفنون المصوّرة، العرائش (المغرب)، ١٩٤١

وهذا اثر آخر من منشورات مؤسسة الجنرال فرنكو، اظهر فيه الاستاذ الفريد البستاني مؤلفاً لامير المؤمنين مولاي محمد بن عبدالله العلوي سلطان

المغرب، السابق الذكر (١٧٥٧ – ١٧٩٠) جمع فيه من امهات كتب الشرح ما رآه مناسباً لبلده وبيئته، وعرضه لفائدة ابناء رعيّته، سهل التعبير، قريب المأخذ، موجز الشرح، صريحاً في القول والحكم. وكان ان وقف الاستاذ الفريد البستاني على النسخة الاصلية للكتاب، المؤرخة بالسنة ١٧٨٨، والمهداة بأمر السلطان المؤلف الى خزانة الجامع الاكبر في تطوان، والمحفوظة من ثم في مكتبة مدرسة لوقش. فدرسها، وأصلح فيها ما افسدته الأرضة والعثة، وضبطها بالشكل الكامل، وقارن نصّها بمستندات الائمة، وشرح الكلمات العويصة فيها، وذكر مصادر الآيات من سورها. وقدّم عليها بحثاً في حياة المؤلف وآثاره واعماله، ومختصراً لتراجم السلاطين العلويين. وذيّل الطبعة بجداول وفهارس، ومعجم للاعلام الوارد ذكرهم في الكتاب وكلهم من علماء الفقه، فترجم لهم باختصار واشار الى آثارهم، فجاء هذا المعجم معلمة فقهية صغيرة. وجاء هذا الكتاب ينافس سابقه في حسن الطبع وجمال الشكل ودقة الإخراج.

مار يعقوب

للخوري اسحق ارملة السرياني

مطبعة المرسلين اللبنانيين، جونية، ١٩٤٦ – ٧٩ ص. متوسطة

هو بحث انتقادي تاريخي ديني عن مار يعقوب اسقف سروج الملفان (٤٥١ – ٥٢١) يستحق الاعتبار، ويلفت انظار المستشرقين خصوصاً ممن تصدّوا للكلام عن مار يعقوب، وزعموا انه كان من القائلين بالطبيعة الواحدة، مستندين الى رسائل تبودلت في زعمهم ما بين مار يعقوب وبعض المنوفيزيتيين. وقد استقرأ المؤلف، الخوري اسحق ارملة، تلك الرسائل رسالة فرسالة وقابلها مع نسخ اخرى، وصرّح اخيراً بانها ليست من قلم مار يعقوب البتة.

ثم سرد بيّنات جمة تاريخية، وذكر براهين شتّى اقتطفها من ميامر مار يعقوب نفسه، تصرّح بخلاف ما ورد في تلك الرسائل المزعومة. وبيّن ان يسطنيان الملك الذي نفى اساقفة المنوفيزيتيين قاطبة لم ينف معهم مار يعقوب

الملفان . وذكر كذلك ان اقدم مؤرخي السريان اليعاقبة لم يضموا اسم مار يعقوب الى اساقفتهم ولم يحصوه في مصاف ملافنتهم . وختم بحثه الدقيق بنبذة محكمة عن حياة مار يعقوب ، وعن اعماله وتآليفه ، وهي باجمعها تؤيد عقيدته الكاثوليكية وتمنى ان تعود الكنيسة السريانية فتضم اسمه المبارك في كلندارها الى اسماء سائر ملافنتها العظام .

اركان المجتمع الثلاثة : العيلة ، الوطن ، الدولة

تأليف الياس يوسف صقر

مطبعة المرسلين اللبنانيين ، جونية ١٩٤٧ — ١٩٧ ص . متوسطة

كتاب خطير الموضوع ، جمّ الفوائد ، قسمه صاحبه سبعة فصول خصّ الاربعة الاولى منها بالعيلة ومكانتها الاجتماعية والفلسفية ، وتاريخها وقوانينها قبل الثورة الفرنسية ، وبالزواج وتحديد المواليد والنظريات الخاصة بالموضوع كنظرية مالتوس ، ونقدها في رأي علماء الأخلاق . اما الفصل الخامس فموضوعه الوطن والوطنية ، والقومية ، والاممية . والفصلان الاخيران يتضمنان دروساً في الدولة ووظائفها العامة والخاصة ، والنظريات الفلسفية والاجتماعية والتاريخية المتصلة بهذه الشؤون ، وغير ذلك من الابحاث المفيدة .

وغنيّ عن البيان ان الكتاب اعلى نظرات وابعد مرامي من ان يوضع في ايدي تلامذة المدارس الابتدائية فهو يصلح مورداً لتلاميذ الصفوف العليا من التعليم الثانوي . ولكن لا بد لمعلمي المدارس الابتدائية ، فضلاً عن سائر المعلمين ، ان يطالعوه ويفقهوه ، حتى اذا خاطبوا الناشئة في هذه المواضيع الحيوية أمنوا عثرات الاضاليل .

اثر التشيّع في الادب العربي

تأليف محمد سيّد كيلاني

آخر ما ظهر في آثار لجنة النشر للجامعيين بالقاهرة كتاب لطيف الحجم للاستاذ محمد سيد كيلاني سماه « اثر التشيّع في الادب العربي » . يتناوله

المطالع فيصطدم اولاً بغلافه النابي الذوق بما تجاور من الوانه المتنافرة كالاخضر الفاقع الى الازرق الرمادي الى الاحمر القرميدي ، وقد انتشرت على الازرق الرمادي لطخات بيض كوّنت عنوان الكتاب . وقد حرصنا على الاشارة الى الغلاف دلالةً على اهمية مراعاة الذوق السليم في مظهر منشوراتنا . فان للعين نصيباً في تذوق الاثر العقلي ، وحقاً في التمتع بالجمال ، ولا بدَّ من التساوق بين مضمون الكتاب ومظهره في السير نحو الكمال الفني . بيد ان مضمون الكتاب خير من غلافه . رتبه المؤلف على ابواب اربعة . تناول في الاول منها مشكلة الخلافة وفرق الشيعة فكان عمله بمثابة مقدمة للبحث . وخصّ الباب الثاني بالنثر من خطابة وحديث وقصص ورسائل مبيّناً اثر التشيّع في كل ذلك ، ذاكراً بعض خطباء الشيعة ولا سيما الامام علي ، حتى اذا وصل الى الباب الثالث تتبّع اثر التشيّع في الشعر بادئاً بدرس صحة نسبته ، مزيفاً ما حُمل على علي وعلى ابي طالب قبله ، منتقلاً الى شعر الشيعة الثابت ، خاتماً بالترجمة لعشرة من شعراء الشيعة في الباب الرابع وهم : الكميت ، كُثيّر ، العبلي ، السيد الحميري ، دعبل الخزاعي ، ابن الرومي ، المفجّع البصري ، الشريف الرضي ، مهيار الديلمي ، ابن هانئ الاندلسي . ف . ا . ب .

تاريخ الشعب الاميركي

بقلم فرحات زياده وابراهيم فريجي ، تحت اشراف فيليب حتي

مطبعة جامعة برنستون ١٩٤٦

المطبعة الاميركانية ، بيروت — ص ل + ٣٤٦ و ٢٤ لوحة تصويرية

هذا الكتاب جميل الظاهر والباطن ، حسن التجليد ، جلي الطبع ، مذيّل بالصور العديدة والخرائط الواضحة ، لذيذ المطالعة ككتب الرحلات العلمية ، وكالقصص الروائية الجذابة .

ولا يسعنا المقام الا الاشارة الى مواده الوافرة ، الظاهرة في فهرس اعلامه المتضمن ثماني عشرة صفحة اقل ما يقال فيها انها مرجع منظم لدرس تاريخ وجغرافية الولايات المتحدة . ف . ت .

دموع الوفاء بين الاشلاء والدماء

تأليف توفيق حسن الشرتوني

مطابع صادر ريحاني ، بيروت ، ١٩٤٧ — ص ١١١ متوسطة

رواية ادبية تعرض كثيراً من الفضائل باسلوب لطيف . فلا حرج على الطلاب في المدارس من قراءتها ، على ما فيها من صفات الحب النبيل الشريف . وهو حب جندي لبناني كندي لابنة كندية كلاهما يستبسل في خدمة بلاده ايام الحرب العظمى الاخيرة فيظهران مثالين في التضحية والامانة المتبادلة . ف . ت .

امثال الامم الاوربية

تأليف : سلومن جرني شامبيون . تعريب محمد رضا

١٠٦ ص . قطع ١٢ — نشر الشيخ يوسف توما البستاني ، القاهرة ، ١٩٤٧

غاية المترجم ان يقدم « لقراء العربية نخبة من الامثال الاوربية ليطلعوا عليها ويتدبروا معانيها ويقفوا على عادات الاوربيين وآرائهم وحكمهم على الاشياء ونظرهم في الحياة وخلاصة تجاربهم حتى لا يكون تفكيرهم قاصراً على الامثال العربية والمصرية المتداولة . » والامثال في كل امة هي مرآة نفسيتها . ولا يخفى على احد ما في نقلها الى لغة اخرى من الصعوبة . ولهذا اقتصر المترجم على نقل ما سهل له منها . فجاء كتابه ، على ايجازه ، مفيداً كل الافادة لمن يجهل اللغات الاوربية .

—الاساس « The fondation » Al-Assas. تأليف دلال خليل صفدي — ديترويت — ميشغن وهو « طريقة مبتكرة لتدريس اللغة العربية » وضع لابناء اللغة الانكليزية

— فهرس نيل الارب في مكتبة العرب ١٩٤٧ لصاحبها الشيخ يوسف توما البستاني واولاده وهو فهرس السنة الخمسين من قائمة المطبوعات . قطع ١٢ ص . ٣٦٨